احتياج الكل اليه واستغنا
عن الكل دليل على انه ام
الكل

الخليل بن اح

# كتاب

# أنا مدينة العلم و «علي» بابها

تأليف


أقل خدمة الدين الإسلامي والمذهب الإمامي

الشيخ بدر الدين الصائغ العاملي

صاحب كتاب « رسالة الإيضاح في إرشاد القضاة إلى الصلاح »


## الجزء الثاني


الطبعة الأولى



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



١٣٦٩هـ مطبعة العرفان : صيدا ١٩٥٠م

www.haydarya.com

# كتاب

# أنا مدينة العلم و«عليٌّ» بابها

تاليف

أقل خدمة الدين الإسلامي والمذهب الإمامي

**الشيخ بدر الدين الصائغ العاملي**

صاحب كتاب « رسالة الإيضاح في إرشاد القضاة إلى الصلاح »

## الجزء الثاني

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

وقف
السيد عبد الكريم القزويني
لمكتبة الروضة الحيدرية
الفاتحة الى روح أمواته

مطبعة العرفان : صيدا

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم
التاريخ

قبة الإمام أمير المؤمنين ( ع ) مع المنارتين والساعة في النجف

قبة المرتضى علي تعالى شأنها عن موازن وعديل
من نضار صيغت بغير نظير في مثال مُنزّه عن مثيل
جللتْ مرقداً جليلاً تجلّتْ فوقه هيبة المليك الجليل
فعلى قبة السماء إذا ما فضّلوها أقول بالتفضيل
هي باء مقلوبة فوق تلك النقطة المستحيلة التأويل

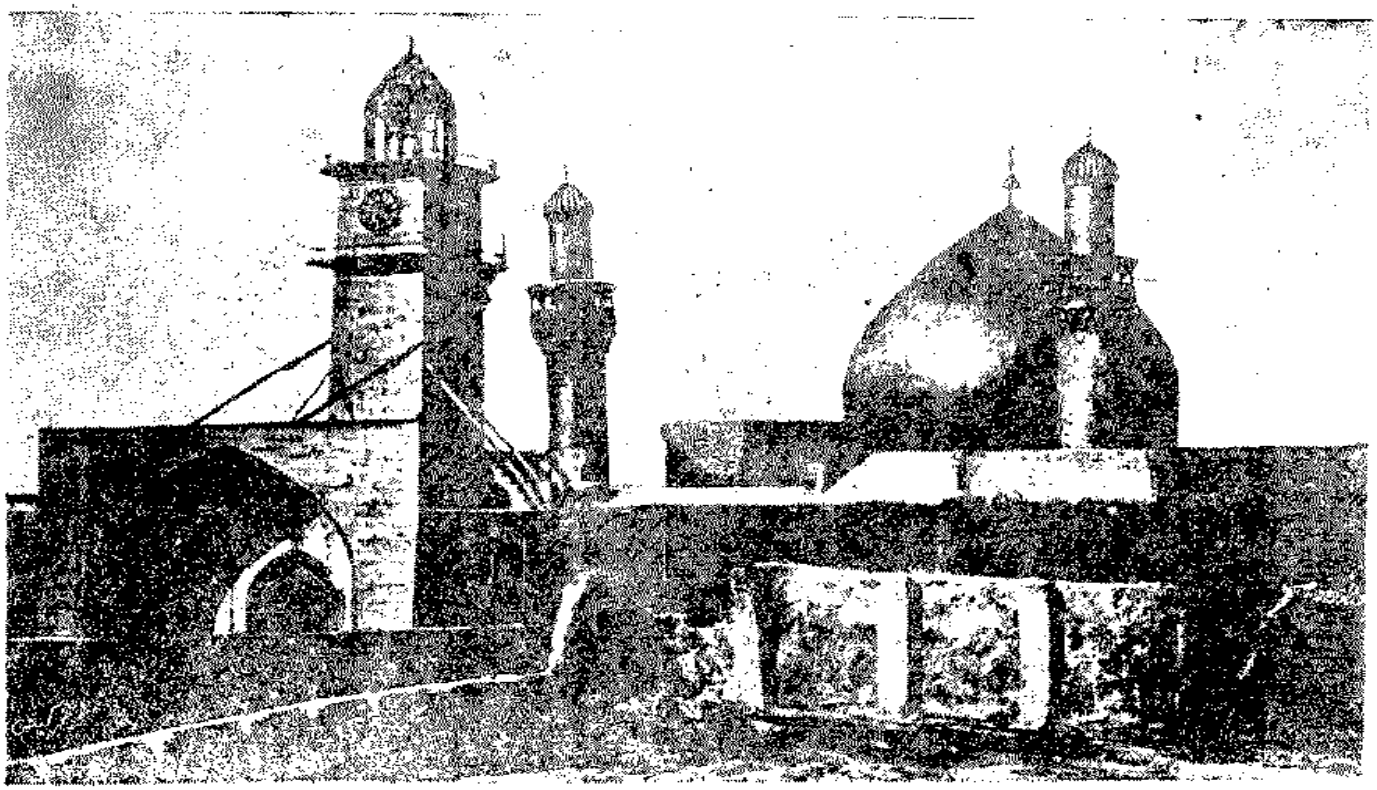

ضريحه الأقدس

ياصاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفى

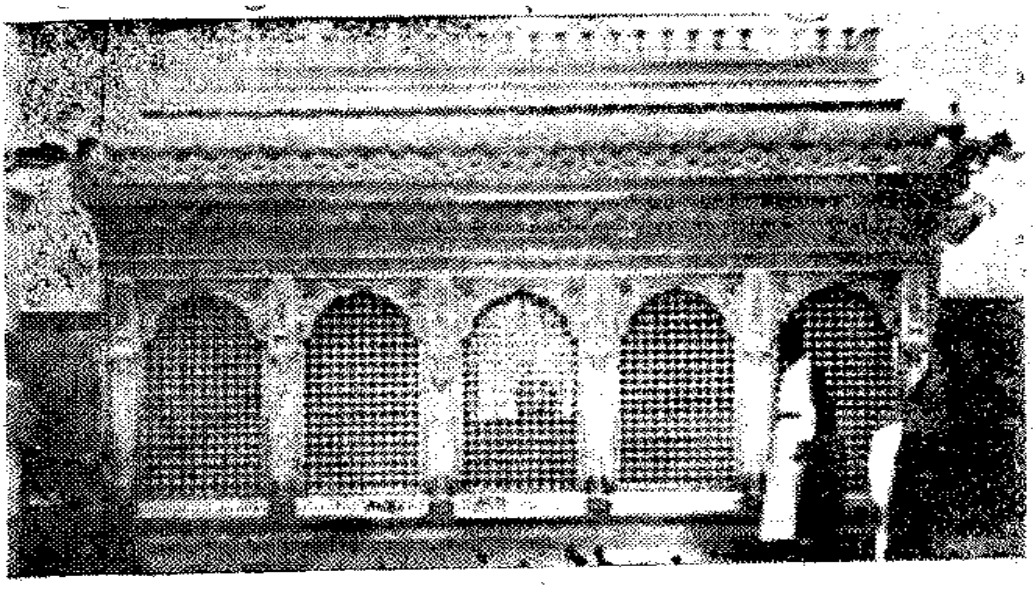

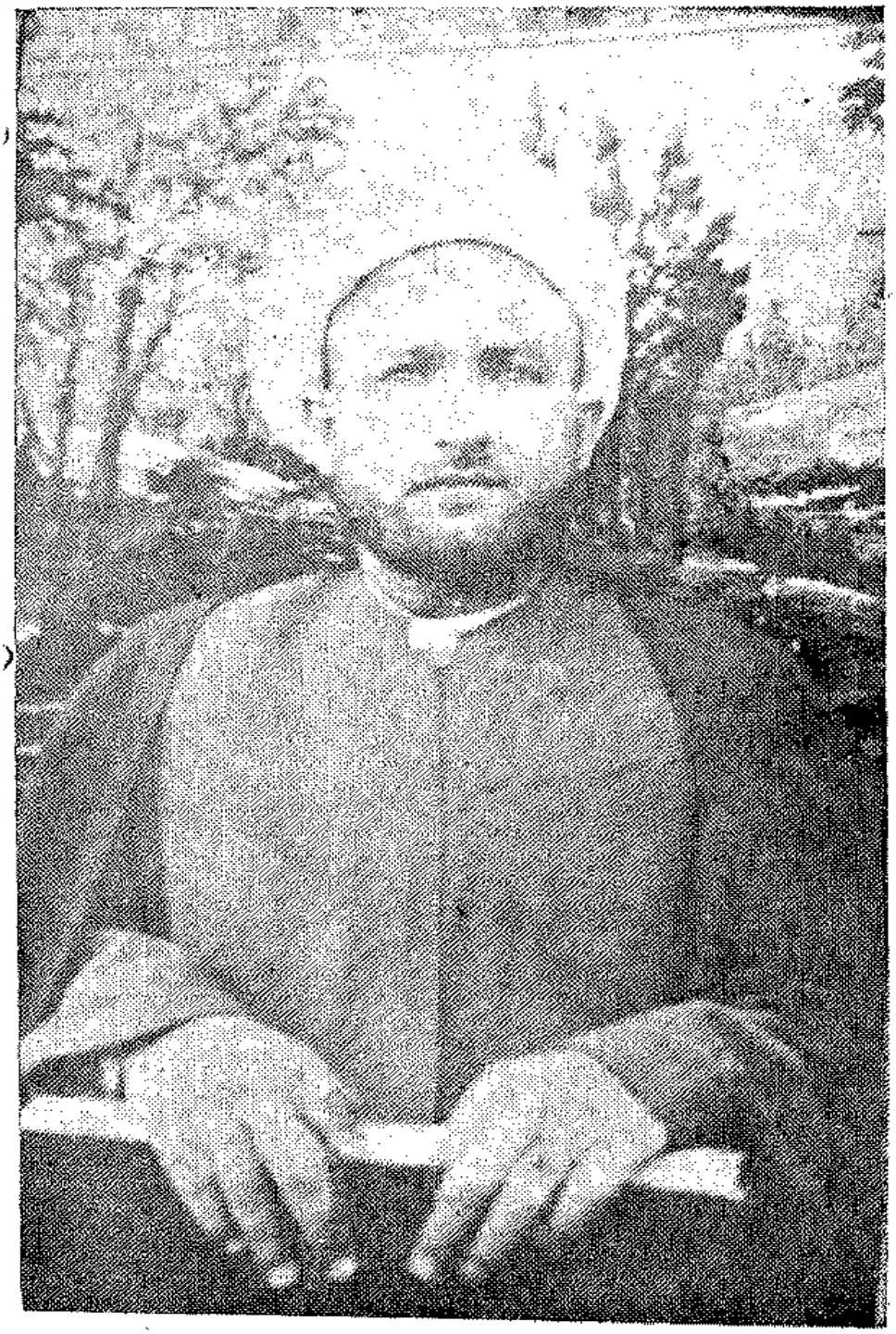

رسم المؤلف

# فاتحة الجزء الثاني من هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين

وبعد فإني أزف إليك أيها القارئ الكريم ، الجزء الثاني من كتابنا «أنا مدينة العلم وعلي بابها » أزفه اليك بكراً بأبحاثه النفيسة ، ومواضيعه القيمة ، أزفه اليك خريدة من خرائد تكوين الطبيعة حين تبرز بجمالها الموهوب فتعشي العيون ، وتذهل اللب ، وتسلب شعور العبقري من البشر

يؤنسك هذا الجزء كما تؤنسك بقية أجزاء هذا الكتاب حين ترى فيها تأريخ حياة الإمام علي (ع) العلمية والعملية ، وترتاح كثيراً ، وتعجب بما ترى في هذا الجزء وفي الاجزاء الاخر من فلسفة الفن ، والتعمق في التحليل والبيان ، وتقف بايمان جديد وانتباه لم يكن عندك من قبل ، ذلك حين ترى الحقيقة بارزة أمامك بأشد من بروز الشمس لذي النظر الحديد ، حين تراها تلمع على صفحات هذا الكتاب فتخال النبي ( ص ) عندئذ كانه واقف بين أصحابه يأمرهم بالالتفاف حول علي (ع) والانقياد له ، والخضوع لامره ، وينهاهم عن مخالفته ، ويحذرهم من عذاب جهنم وعدم الفلاح أبدا ان تأخروا عن علي (ع) أو تقدموا عليه

انك أيها القارئ الكريم تخال النبي (ص) كذلك عندما تأخذ في قراءة كتابنا هذا « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وتخال الفضيلة أيضاً تملأ بصداها سمعك ، وهي تهتف بك : أن اقتبس العلم ، والحكمة ، والبيان ، من الامام علي ( ع ) ، وارجع اليه

فعنده النور والهدى ، وسعادة البشر ، وارتقائه مدى الدهر ؛ تهتف بك الفضيلة أن خذ من سيرة علي (ع) الحكيمة ، ومواقفه المهيبة ، ونضاله المنطقي الرائع ، ورأيه السديد ، ونظراته الحقة ، فخذ من هذا كله ماتكون به عالما ، خطيبا ، عارفا بوجوه الكلام ، خبيراً برجال الصحابة ؛ واقفا على سر الفضيلة ، وعلى خطر الخلافة ، وعلى من هو أولى بالامر بعد الرسول (ص)

ترى هذا كله يلمع بين يديك في كتابنا هذا « أنا مدينة العلم وعلي بابها » مثبتاً بالحجة والبرهان ، مدعما بآي من البيان المحكم ، كما تراني قد تناولت في هذا الكتاب نقاطاً هامة من المباحث التاريخية وأثبتها في محالها حسبما يقتضيه المقام وتستدعيه الضرورة ، ومن الله تعالى نستمد التوفيق والمعونة ، وأن ينفع بكتابي هذا من في الشرق والغرب ، وينير بسناه اللامع سائر طبقات البشر ، كما اني ابتهل الى جلال قدسه أن يجعله ذخيرة لي باقية ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، ليوم تشخص فيه الابصار ، ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، اسأله تبارك وتقدس تحقيق هذا كله بمحمد وآله خير البرية ، واليك الابتداء في الكلام على عناوين الجزء الثاني من كتابنا هذا

## على (ع) مثال العلم والعمل

إن علم الامام أمير المؤمنين ( ع ) مما لايشك فيه اثنان ولا يرتاب في غزارته وتدفقه أي إنسان درس تاريخ حياته ، اسواء كان ذلك في زمن الرسول الاعظم (ص) أم كان في مدة المشايخ الثلاثة ، أم عندما استقل (ع) باعباء الخلافة

و كان لعلمه (ع) الغنى المطلق عن علم أي عالم كان من الصحابه في هذه الاعصر الثلاث ، ولكل صحابي ، مهما عظم ، تمام الافتقار الى ذلك العلم المتدفق الذي

يحمله علي (ع) بين جوانحه على اختلاف جهات ذلك العلم

ومن بحث في تطور حياة هذا الروحاني المتأله «علي» فانه يجد العلم يتفجر من سائر نواحيه ويفيض عن نبع غزير في كل نادٍ ومحفل

كذلك تنكشف الحقيقة المنشودة وتبرز أعلامها منشورة أمام الابصار وتلمع وضاءة بين المجتمعات وتشع في خلال القلوب حتى يرث الله الارض ومن عليها

ان المرء لايكاد يبصر الحق الصريح إلا باعمال العقل و تسريح الفكر في كتب الاوائل فيما يرجع الى تميز الصحابة بعضهم من بعض بالنسبة الى الفضل والفضيلة علماً وتقى ، زهداً وورعا ، شجاعة و كرماً ، إخباراً عما في صحف الانبياء والرسل وعما ياتي في مستقبل الزمان من الوقائع والحوادث ، وعما مضى من أحوال الامم السالفة والقرون الماضية ، وعما توسوس به النفوس وتكنه الضمائر .

ومن البديهي انه لايمكن لاحد أن ينسب هذه الفضائل كلاً او بعضاً على اختلاف مراتبها ولاشيئاً منها لاي فرد من افراد الصحابة الا بعد النظر الدقيق في تاريخ حياته حسب ما سطرته الكتب عند الخاصة والعامة

وإنك اذا بحثت عن أحوال الصحابة فرداً فرداً فلا ترى واحداً منهم قد جمع هذه الفضائل الا الامام امير المؤمنين (ع) وإن القسم الاوفر من هاتيك الفضائل قد فقده شيوخ الصحابة وعري منه أئمة المهاجرين والانصار مهما كان لهم من صلة بالنبي (ص) من حيث النسب ، أو المصاهرة ، أو الصحبة المحضة ، بل ولأن وجد البعض منهم بعضاً منها فانما ذلك كنسبة نقطة الى بحر بل الى بحور بالنسبة الى الامام علي (ع) بل كنسبة العدم الى الوجود

هذه بلا ريب ناحية هامة يخوضها العقل ويقطعها الفكر ، وليس لنا برهان للاذعان بها الا مراجعة التاريخ من الطرفين والتنقيب فيه بدقة ؛ وبهذه الواسطة نصل

الى معرفة الجيد من الردي والغث من السمين ، والصحيح من الفاسد ، والحق من الباطل ، ونميز العالم من الجاهل ، ونحكم عندئذ بأن أولى الناس بالناس انما هو علي (ع) وان الهدف النبوي قد كان يومي الى هذا الأمر في كل مشهد نشر فيه الرسول بياناته وأبلغ عنده إنذاراته

إننا جميعا لانرتاب بأن العلماء المتقدمين ؛ ورواة الحديث من الصحابة والتابعين لقد أبرز كل من هؤلاء آثار رجال المسلمين الذين اكتنفوا الرسول (ص) ولزموا خدمته وأخلصوا له الصحبة والمودة

كما لا ينكر بوجه أن بين الصحابة رجالا محضوا النبي الود والاخلاص ، ولكن رأسهم وسيدهم إنما هو الإمام علي (ع)

فهذا الإمام هو الذي كان يدفع عن الرسول أذى قومه ؛ وشر العرب ؛ وكيد منافقي قريش ودجاليهم من الاقربين منه والبعيدين عنه ، وذلك بفضل ما أوتي (ع) من علم وعرفان ، ورباطة جأش ، وحزم في جميع الأمور

فكان العلم المتلألئ بين جوانح علي (ع) يريه بجلاء ؛ عظمة النبوة ، وخطر شرف الرسالة المحمدية ، وكان (ع) بضوء هذا العلم المتأصل في ذاته لا يرى له حياتا الا بحياة النبي (ص) ولا يرى لأنفاسه في هذا العالم قيمة الا اذا انتعش الوجود واحتي أبناؤه بأنفاس الرسول

إننا بلا ريب نرى هذه النقطة الجوهرية تتجلى بين أيدنا وأمام أبصارنا كتجلي الشمس الطالعة ؛ وذلك اذا رجعنا الى كتب العلماء وتآليفهم وأمعنا النظر فيما زفه الينا نقلة الأخبار ورواة الحديث من احوال كثير من الصحابة ، تلك الأحوال ، المختلفة المتضادة ، ومنها العلم والجهل ، والايمان والنفاق ، والتضليل والإرشاد ، والرياء والاخلاص ، ولكن حياة علي (ع) إنما كانت محض العلم والإيمان محض الإرشاد

والإخلاص ، محض التفاني في ذات الله سبحانه كانت مثال الزهد الذي يضأل عنده زهد الزاهدين

إن الرجوع الى كتب الخاصة والعامة فيما بوّبوه وعنونوه وأثبتوه من أحوال الصحابة يجلي لنا الموقف عن النفر منهم ، الذي كان له السبق والتفوق بخصوص صدق النية ، وسلامة القلب ، والخضوع والخشوع أمام عظمة النبي ﷺ والتقديس لأوامره ونواهيه ، يجلي لنا الموقف عن السابق المتفوق بهذه الفضائل الغر وانه إنما هو الإمام علي(ع)

ان الرجوع الى هذه الكتب يرينا أحوال الصحابة على التفصيل وينصب أمام اعيننا لكل فرد منهم مثالاً مرئياً بظاهره وباطنه ، بل إن الرجوع اليها يخيل لناحتى كأننا في عصر النبي ﷺ نجالس الصحابة ، ونسامرهم ، ونتحدث معهم ، ونقف على أعمالهم السرية والعلنية وعلى خصوص ما كان لنفر خاص منهم من جلسات التآمر حول صرف الخلافة عن الإمام «علي» إن مات محمد أوقتل .

إذاً كان الرجوع الى كتب الخاصه والعامة من هذه الناحية يعطينا العلم(لامحالة) بأن الحق ساطع بتلألأ في جبين علي(ع)

أجل ، إن عقلاء الامة والمقدرين لجوهر الفضل والفضيلة ، إن طلاب الحياة السعيدة وذوي الشعور الحي والإحساس النبيل ، إن هؤلاء جميعا إنما يمشون على ضوء ذلك الحق المتلألئ في جبين الامام «علي» إنهم يسيرون على نهجه القويم ، إنهم يقومون سراعاً لنشر تعاليمه وتنوير أفكار البشر بما أودع الله تعالى فيها من جمال و كمال

إن أرباب العدالة من أهل العلم وذوي القدرة في البيان ، بالقلم كان أو باللسان في هذا العصر وفي كل عصر ، لاتأخذهم في سبيل تأييد ذلك الحق لومة لائم ، ولايصدهم عن إذاعته وتمكينه في النفوس إرجاف أرباب الغي والفجور ، ولايستولي على عزائمهم

أمام نصرة الدين والفضيلة تلك الأطماع الدنيوية التي أهلكت أقواماً (وما اكثرهم) رأوا ذلك الحق « في جانب علي » جلياً فاجتنبوه حسداً منهم وبغيا

فهذا وأمثاله إنما نصل اليه بواسطة الرجوع الى تلك الكتب المتكفلة لأحوال الصحابة ؛ إن هذه الكتب هي التي توقفنا على صديق الدين وعدوه ، وهي التي تدلنا ، بفضل ماحوته ، على رجال الصحابة الذين يجب أن يكون لهم في المجتمعات البشرية قسط وافر من الإحترام والتقدير ، وهي التي تشير لنا ، بلامع ماسجلته على صفحاتها ؛ إلى الفريق الخاص منهم الذي يلزم على الشعوب ماعاشوا أن تلحظه وترمقه بعين الإكبار والإعظام

## « على (ع) منه الصحابة وليس منهم »

لقد أوقفتنا هاتيك الكتب على صديق الدين ؛ وعلى من قام به الدين وأعلمتنا عن أجل شخصية عالمية لها أسمى مكانة احترامية في المجتمعات البشرية ، وأحسنت الينا بالالماع عن أنبل رجل إنساني رمقه الشرق والغرب بعين الإكبار والاعظام ومن هو ياترى؟

أجل ، هو الامام علي بن ابي طالب (ع) إن علياً هو ذلك الرجل الفذ الذي استضاءت بذكره صفحات التاريخ ، ولمعت بشتى مناقبه سجلات فلاسفة العالم واستنارت بمآثره النبيلة ومناهجه القويمة عقول جميع الأمم من أقصاها الى اقصاها واستقام بتعداد معاليه نثر البلغاء ، وانتظم بمديحه كاللآلي تغزل الشعراء

إن علياً (ع) هو ذلك الرجل الذى قدرن اسمه الطيب الزاكي في أسماع الخافقين وعطر شذى عرفه الفياح أرجاء المشرقين والمغربين

فعلم علي ، وعرفان علي ، وفضل علي ، وتقى علي وزهده ، وكرم علي وشجاعته وإخلاص علي وتضحيته ونسب علي ومجده ، هذه لعمر أبيك إلى ماسواها فضائل

ومحاسن يزهو بها الكون وتزهو بها النفوس، تحيي بها الارواح، تقوم بعدالتها الممالك تستقيم بجوهر حسنها الأقاليم ؛ كما ينعم بطيبها المؤبد أملاك عرش الجليل سبحانه

بل إن هذه الفضائل والمحاسن تبرق وضاءة في مطلع علي (ع) منذ استقبل بولادته البيت الحرام، بل هي فيه متقدة منذ أشرق نوره في صلب أبي طالب، بل هي في جوهر تكوينه الأزلي تشع متلألئة من لدن كان نوراً في ساق العرش يسبح الله تعالى ويقدسه من قبل أن يخلق الله تعالى آدم ومن قبل أن تقوم السموات والارض

فكان علي (ع) من الصحابة وليس منهم

أجل، ياأبا الحسن

فإن تفق الانام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

ولقد أدرك هذه النقطة الجوهرية محمد بن عائشة، وذلك كما أثبته البيهقي في الجزء الأول من كتابه «المحاسن والمساوي» حيث قال : حدثنا رجل حضر مجلس القاسم بن المجمع وهو والي الأهواز قال : حضر مجلسه رجل من بني هاشم فقال أصلح الله الامير ألا أحدثك بفضيلة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : نعم إن شئت قال : حدثني أبي قال : حضرت مجلس محمد بن عائشة بالبصرة إذ قام اليه رجل من وسط الحلقة فقال : يا أبا عبد الرحمن، من أفضل أصحاب رسول الله (ص) فقال : أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، فقال له : فأين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ياهذا تستفتي عن أصحابه أم عن نفسه قال : بل عن أصحابه قال: ان الله تبارك وتعالى يقول «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم» فكيف يكون أصحابه مثل نفسه .

وما أجود ماأثبته البيهقي في هذا الجزء من كتابه المذكور فلقد أثبت، بعد

إيراد هذا الطراز من الفضيلة لعلي (ع) حديثين آخرين يلمع كل منهما عن نوع خاص من فضائل هذا الامام الاكبر ، فأثبت أولهما عن عطا حيث قال : كان لعلي رحمه الله موقف من رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، اذا خرج اخذ بيده فلا يخطو خطوة الا قال اللهم هذا علي اتبع مرضاتك فارض عنه حتى يصعد المنبر ... وأثبت ثانيهما عن أبي مالك الاشجعي رواه ان النبي ﷺ قال : هبط علي جبرائيل (ع) يوم حنين فقال يا محمد إن ربك تبارك وتعالى يقرئك السلام وقال : ادفع هذه الاترجة (١) الى ابن عمك ووصيك علي بن ابي طالب رضي الله عنه فدفعتها اليه فوضعتها في كفه فانفلقت نصفين فخرج منها رق أبيض مكتوب فيه بالنور ، من الطالب الغالب الى علي بن أبي طالب ، انتهى

ويحق لمن كانت نفسه نفس النبي ﷺ أن يختصه النبي من بين صحابته بمزيد الاعتناء بشأنه فيأخذ بيده في ذلك اليوم المبارك الميمون (يوم الجمعة) الذي هو عيد للمسلمين اجمع ثم يشرع في هذا الحال معلناً بسمو مكانته بذلك النهج الخاص من الاعلان حين يقول : أللهم هذا علي اتبع مرضاتك فارض عنه وما أجل هذه النادرة التي قد نقلها لنا عطا فقد أثبت لنا اعتناء الرسول ﷺ بعلي (ع) من ناحيتين ، ناحية أتت من جانب الفعل وذلك حين كان يأخذ بيده ، وناحية أتت من جانب القول وذلك حين كان ﷺ يهتف باسمه (ع) بذلك النحو الخاص من القول ، وما أشد حرص الرسول ﷺ على حفظ كرامة اخيه وابن عمه علي (ع) بالقول والفعل ، ولله أنت يارسول الله حين كنت تأخذ بيد ابن عمك علي وأنت تنقل خطاك ، ويدك لاتنفك عن يده ، لانيل غاية يتوخاها الحكماء المتألهون (هي

---

(١) الأترجة بضم الهمزة وتشديد الجيم واحدة الأترج وهي فاكهة معروفة ، وفي الحديث مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة الخ يعني طعمها طيب ورائحتها طيبة وكذلك المؤمن القارئ

الخطابة بعينها ) هذه هي مهمة الأنبياء والرسل التي تبزغ بها شمس العرفان ، ويقوم عليها سوق العلم ، وتبرز أعلامه نيرة فوق الأرض

وكذلك يحق لمن كانت نفسه نفس النبي ﷺ أن يكون لله عزوجل مزيد اعتناء خاص به من بين صحابة الرسول ، فيحبوه تبارك وتقدس بتلك الكرامة ، وأي كرامة ، حين يتحفه عز اسمه بتلك الأترجة ، هي من جنا الجنة بلاريب ؛ إنها ثمرة نفيسة أحلى من الشهد ، كيف وقد أنتجتها يد الجليل سبحانه

فأنعم بمهديها ، وهو الله تعالى ، وبحاملها ، وهو جبرائيل حين يهبط بها من الملكوت الأعلى ، وبمقدمها ، وهو الرسول ﷺ وبالمهداة اليه ، وهو أبو الحسن علي (ع) وبالله فما أعظم ما انفلقت عنه تلك الهدية الخطيرة من ذلك الوسام المتألق « من الطالب الغالب الى علي بن ابي طالب »

إن هذه الكرامة آية لعلي (ع) خاصة ، وبها وبكثير من أمثالها قدتم له الامتياز عن الصحابة ، وبواسطتها ثبتت له السيادة والتفوق عليهم بلا ريب

أجل ؛ إنها آية عز مثيلها الا للرسل وأوصيائهم الهداة

وما أسمى ذلك الوسام « من الطالب الغالب الى علي بن ابي طالب » حين ترسمه يد التكوين الإلهي بذلك الشكل الخاص من الايجاد ، وحين يمنحه منشي الكون الاعظم انسان ساد الخلق طرا بكل فضيلة ومنقبة بعد الرسول الاعظم

وما ألطف وأدق ما يرمز اليه وسام « من الطالب الغالب الى علي بن ابي طالب »

أجل إن الغلبة ثابتة لعلي (ع) على خصمائه يوم العرض ، وله كامل الحجة عليهم في عرصات السؤال يوم يقتص للقرعاء من القرناء ، ويوم يحاسب على الصغيرة والكبيرة ويوم لا يجوز عنده سبحانه ظلم ظالم ، ويوم يساق المجرمون والمنافقون الى جهنم زمرا ، هي مأواهم وبئس المصير

ولقد ظهر بهذا البيان كمال المناسبة وجمالها بين إثبات البيهقي لكلام محمد بن عائشة المذكور ، وبين إيراده عقيب هذا الكلام بلا فصل للحديثين المذكورين ، عن عطا ، وعن أبي مالك الأشجعي

لقد تلقينا هذه الحقائق وكثيراً من أشباهها بواسطة النظر في صفحات الكتب

أجل ، لقد علمنا بأن الرجوع الى كتب الخاصة والعامة بشأن الاستطلاع على أحوال الصحابة والوقوف على ما كانوا فيه من شقاء وسعادة يوصلنا الى ذلك الرجل الوحيد منهم ، الذي له الاهلية لان يخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مركزه الخطير

وإنا بعد تحكيم النظر في صفحات هذه الكتب ، والوقوف بواسطتها على أحوال الصحابة ، والاحاطة بسائر الاخبار النبوية في حقهم أجمعين ، فبعد هذا كله فانا قد وقفنا بحمد الله تعالى على معرفة ذلك الرجل الوحيد منهم ، لقد عرفناه من هو والى من ينتسب ، وكيف كان سيره في محيطه ، وعلى أي أساس كان بناء سلوكه في المجتمع الإسلامي ، لقد عرفناه باسمه ، وبسيره وسلوكه ، وبصفاته وعلمه ، وبفضله وزهده ؛ وبسخائه وشجاعته ؛ وبحنكته وسياسته

اجل ؛ لقد عرفناه بهذه الاوصاف كلها ، عرفناه بأنه إنما هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، أخ الرسول وابن عمه ، وزوج ابنته الزهراء ، وأبو سبطيه الحسن والحسين

إذاً فما أشرف الرجوع الى كتب الخاصة والعامة ، وما أنبل إعمال الفكرة في استخراج أمثال هذه الحقيقة منها ، وشكراً لهذه الكتب حين علمتنا بأن عليا (ع) هو ذلك المصدر الصحيح الذي يجب على المسلمين اجمع أن يرجعوا اليه في أحكام الدين والشريعة ، وأنه (ع) هو ذلك المنهل العذب الذي يلزم على كل من عرف الله تعالى ووحده أن يرد عليه ويستقي منه

## ( انما تقوم الفضيلة بالعلم والعمل )

وأنت على يقين بأن ركني الفضيلة إنما يقومان بالعلم والعمل ، وعليهما تقوم إنسانية الإنسان ، وبهما يستطيع الإنسان لأن يتطلب الزعامة الدينية ، أو يكون له طموح نفساني الى معالي الرتب ، أوتحدثه نفسه لأن يحتل منصباً هاماً من مناصب الدولة ، أما منصب الخلافة على الاخص فإنما أساسه هذان الركنان بلا ريب ، إن من توفر فيه ركنا العلم والعمل فهو الذي يشار اليه بالخلافة وحده ، وهو الذي اذا تربع على عرشها واستولى على ذمامها فلا نكران عليه ابدا ؛ ولا نشك بأن الإمام عليا (ع) قد تجلت فيه تلك الفضيلة العليا فضيلة العمل بأسمى مراتبها ، كما نعلم بأن فضيلة العلم قد سمت عنده الى اقصى حد يمكن للبشر أن يبلغه بمقتضى خلقه البشري وتكوينه الإنساني

لقد أشار الإمام الحسن (ع) في كلام له الى هذين الركنين الاساسيين والى ما لهما من سمو ذاتي في عالم الروحانيات ، وذلك كما اثبته في كتاب « كشف الغمة » من مسند أحمد بن حنبل عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي عليهما السلام فقال: لقد فارقكم رجل بالامس لم يسبقه الاولون بعلم ولم يدركه الآخرون بعمل ، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية ؛ جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، لاينصرف حتى يفتح له انتهى

إنك ترى الإمام الحسن (ع) إنما أثنى على أبيه علي (ع) بأجل الفضائل وأسماها ونسب الى ذاته الكريمة أنبل المحاسن وأبهاها

أجل فقد اثنى عليه بالعلم والعمل ، ونسب الى علاه هاتين الفضيلتين بما لهما من جمال عديم المثيل ، حيث ان سائر الفضائل بما لها من بهاء رائع ترجع بلا ريب الى فضيلتي العلم والعمل ، ومن العلم والعمل تستمد سائر الفضائل روح الكمال

إن لفضيلة العلم امتيازات خاصة في أعلى مراتب التقدير والإكبار ، كما ان لفضيلة العمل ثمرات خاصة لها أعلى القيم واغلاها ، ولا يكون لتلك الامتيازات العلميـة تحقق في الوجود أو مركزية خطيرة في الحشـايا والنفوس الا بالعلم ، كما لايكون لهذه الثمرات العملية ثبوت في الخارج أو في عالم الجزاء الا بالعمل

ولعلك تسأل عن امتيازات العلم وثمرات العمل قائلاً : فما هذي وتلك ؛ فإنا نقول : إن ثمرات العمل وامتيازات العلم من المعلومات الضرورية عند كل ذي حسٍ بشري ، ولن يخفى عند أرباب المواهب العقلية مالهذه الإمتيازات وتلك الثمرات من آثار هامة في سائر المجتمعات العالمية على اختلافها ، كما لا يخفى على من تزين بنعمة الدين الاسلامي مالهما من خطر ونفاسة في هذه الدار وفي الدار الآخرة

( يجب في الخليفة أن يكون له الغنى المطلق بالعلم ، والمثال الأسمى بالعمل )

إن الخليفة في أمس الحاجة الى الغنى المطلق بالعلم عن البشر ، كما انه أحوج مايكون لأن يكون المثال الأسمى للبشر من حيث العمل

واذا تم للخليفة هذان الأمران ( العلم والعمل ) بأقصى حد يصل اليه البشر فقد تم له الصلاحية لأن يكون مرجعاً وقدوة لسائر طبقات البشر ، أما صلاحيته لان يكون مرجعاً لهم وذلك من حيث أخذ العلم عنه عند السؤال وحال الوقوع في مبهمات الامور ومشكلات الحوادث فلا يكون في المجتمع الإسلامي من يقوم بهذه المهمة الخطيرة الا هو ، وأما صلاحيته لان يكون قدوة للبشر وذلك من حيث التأسي والاقتداء به في مرحلة العمل وعند تطبيق الانظمة والموازين الدينية

أما الإمام علي (ع) والعلم فلقد كان غوث الصحابة وغياثهم من حيث أخذ العلم عنه ، إن فقهاً ، أو تفسيراً ، أو سنة ، وملاذهم ومحط رحالهم من حيث رجوعهم اليه في حل المشكل ورفع المبهم ، من حيث الإبانة عما يختلج في الضمير وتحدث به

النفس ، من حيث الإعلام عما يأتي بعد عشرات الاعوام ومآتها ، والكشف عما كان عليه الاولون من ملوك ورسل من لدن آدم الى الساعة التي كان (ع) فيها ، فكان الصحابة أجمع عيالاً على الإمام «علي» من هذه الوجهة الخطيرة ، وما زال «علي» هو ذلك المرجع على الإطلاق لكل مهاجري وأنصاري وتابعي في كل سانحة دينية وغير دينية ، وما برح السؤال والطلاب يردون على «علي» فيقتطفون من جنا علمه الزاهي مايؤوب به كل فرد منهم ريان مثلوج الفوآد غنياً بما اقتطف

وأمام ناظريك تلك المجتمعات العالمية في الشرق والغرب فهي الى الآن تستقي من منهل علم علي (ع) كما انها لاتزال تقيم مهرجانات التغزل في الكليات والجامعات للوصول الى ما اشار اليه (علي) من اسرار العلم ودقائقه في كل فن ، ولن تنفك طبقة العلماء وعلى الأخص علماء الغرب دائبة بإعمال النظر والتفكير في سبيل الوقوف على هذه الأسرار والدقائق مما يكون به للمملكة (التي منها تلك الطبقة) عز الرقي والسيادة والعمران بالوصول الى تلك الاسرار والدقائق وإبرازها الى الوجود الخارجي يتناولها البشر ويتلذذ كل فريق منه بحلو جناها ما جرى الدم في العروق

أما الإمام علي (ع) والعمل فلايشك ابن انثى بأن (عليا) هو القدوة لكل من ركع وسجد ، ولكل من صام وزكى ، ولكل من حج واعتمر ، ولكل من قام مجاهداً في سبيل الله راجلاً أو راكباً ، وبالامام علي يتأسى كل من استن بسنة ؛ أو قام بمعروف ، أو أطعم الجائع الحزين ، أو كسى العاري الكئيب

إن أعمال الطاعة والعبادة ، إن صنايع الخير والمعروف ، إن قضاء الحوائج وكشف الكروب ؛ إن تفقد الضعفاء والارامل والايتام ، إن تمثيل العاطفة والرقة والحنان ، إن تحمل الأذى والعناء في ذات الله ، إن تجرع الغصص في سبيل نفع الامة الاسلامية ، إن ارتكاب الاهوال والاخطار أمام إحياء الدين والبقاء على حياة الرسول

ﷺ إن هذه الاعمال النبيلة كلها لم يقم احد من الصحابة بتمثيلها على الوجه الاكمل إلا شخص الامام علي (ع) الى غير هذه من أعمال الفضيلة التي لم يكن لها مظهر باهر الا بأعضاء علي (ع) وجوارحه

(العاطفة، هي مظهر المروءة، وعلى العاطفة تقوم المؤسسات الخيرية)

إنك تعلم بأن تجلي العاطفة من أجمل مظاهر المروءة التي يتميز بكمالها رجال الإنسانية، والتي تفيض بنعمائها أيديهم الى ثلة من البشر الذين أنهكت قواهم الحاجة وبلغ بهم البؤس الى حدٍ كاد أن يقضي عليهم بالتلف

إن للعاطفة ذلك الفضل الخطير عندما يؤتى على تعداد الفضائل وحينما يشرع العالم أو الخطيب في تحليل ما للفضيلة (كلية أو فردية) من أثر ديني اجتماعي، فإنك تسمع وترى ما لفضيلة العاطفة على الخصوص من كمال وسمو في النفوس البشرية وترى كيف يرتاح الضمير ويفوز البدن بقسط وافر من الابتهاج عندما يطرق سمعك ما للعاطفة من آثار جسيمة؛ إن تمثيل العاطفة في الخارج يغمر النفوس مسرة بل ويعود عليها بعمر جديد

إن وجوب تمثيل العاطفة قائم في ذمة سائر أفراد البشر الذين وجدوا القدرة لتمثيلها، والذين لهم الإستطاعة لأن يهبوا البؤساء بعض مالها من ثمر شهي، والذين عندهم من السعة والثراء مالو أنفقوا النزر اليسير منه لكان بذلك إحياء هذه الطبقة المعدمة

إن لزوم تمثيل العاطفة في المؤمنين أشد منه في سائر الناس، وعند العلماء أشد منه عند سائر المؤمنين، وفي نفوس من كانت لهم مرجعية التقليد أشد منه في بقية العلماء وأما بالنسبة الى الخليفة فيجب أن تكون العاطفة عنده أشد منها عند سائر العلماء الذين لهم صلاحية الفتيا والقضاء ومرجعية التقليد

وعلى أساس العاطفة، وعلى دعائمها المحكمة، تقوم المؤسسات الخيرية في الشرق

والغرب، ولإحكام هذه المؤسسات وإشادتها ينهض رجال أقوياء أولو رأي وبصيرة يحملون مشعال العاطفة الملتهب ، ويعقدون جلسات خاصة عديدة لإيضاح الطرق والأسباب وتنسيق المناهج التي بسلوكها والسير على مقتضاها يتم أمر تلك المؤسسات ، إن هؤلاء الرجال يصرفون قسما كبيراً من الوقت حول إنهاض تلك المؤسسات وإبرازها الى عالم الوجود الخارجي بشكل بديع مثمر ، كما انهم يتحملون أعباء القيام بها ولهم همم تبرق عن عزائم حادة ترفع كل صعب وتزيل جميع العراقل والمشاكل التي تمنع من وجود تلك المؤسسات أمام الأعين وفي حيز الإنتاج

إن لهذه المؤسسات الخيرية أسمى مكانة اجتماعية وأغلى ثمن ديني فإن بجناها يتغذى الطفل الصغير ، ويشتد الشيخ الكبير ، وتجد الأرملة البائسة روح الحياة ، كما ينتعش بجناها اليتيم العاري من الكفيل

## (الاحاديث النبوية في الحث على اعمال العاطفة)

وللنبي (ﷺ) كلمات حادة في مقام الحث على إثارة العاطفة وتوزيع مالها من ثمرات ناجعة على المحاويج والبؤساء

إنا نرى النبي ﷺ قد وزع أوقاته الشريفة وجعلها حصصاً حصصاً ، وخص طرفا منها في استنهاض همم أصحابه وهم المسلمين من ولد وسيولد الى يوم القيامة ، في استنهاض هممهم اجمعين لإعمال مابين جوانحهم من عاطفة وإثارة براكينها على النفر البائس من أمته خاصة وعلى المؤلفة قلوبهم والمستضعفين عامة

لقد نثر ﷺ على صحابته كثيراً من تلك الكلمات في كثير من الأوقات وإنما كان ﷺ في هذا الحال يغرس في نفوسهم الحب والوداد لإخوانهم البؤساء إنما كان يودع في حشاياهم دواعي الرغبة في تفقد الجار والرحم والأخ المؤمن

فمن كلماته ﷺ تلك في المقام قوله : من أفضل الأعمال عند الله عز وجل إيراد

الاكباد الحارة وإشباع الاكباد الجائعة والذي نفس محمد بيده لايؤمن بي عبد بات شبعان وأخوه جائع (أو قال) وجاره جائع

ماأجل هذه الكلمة ، وما أشد وقعها في النفوس ، إنها تمر على السمع فيكون لها واعيا ، وتلمس بهبوبها البدن فيجثو أمامها خاشعا ، وتخترق القلب فتحتل أعلاه ، ويالله ما لقوله (ﷺ) في مبتدأ هذا الكلام : من أفضل الأعمال عند الله عز وجل ابراد الاكباد الحارة واشباع الاكباد الجائعة من شظايا تملأ الجو بلهب متتابع فيسوق ذوي اليسرة لإسعاف ذوي العسرة ، على حد قوله (ﷺ) في مختتم هذا الكلام : والذي نفس محمد بيده لايؤمن بي عبد بات شبعان وأخوه جائع أو ( وجاره جائع ) بل ان مختتم هذا الكلام أشد من مبتدئه في الحث على ترويح نفوس البؤساء بنتائج العاطفة وإنعاش أفئدتهم بثمراتها اليانعة ؛ من ناحية أخرى فترى هذا القول النبوي الكريم بين وعد ووعيد ، فمبتدئه وعد ، كما ان مختتمه وعيد بلا ريب

إنما يتلقى هذا القول النبوي بالقبول ، يخضع لقداسته بإطاعة وامتثال ، عقلاء الأمة ومؤمنوها الأبرار ، إنما يتلقاه بالإجابة والتنفيذ من نظر بعين الإعتبار في هذه الدار والى زوال ما فيها من حطام ومتاع ؛ وانقراض كل غالٍ ثمين

أجل ، إنما يتلقاه بهذا كله من يحس بتجرع البائس لغصص البؤس ، من يرى تقلب البائس بين آلام الجوع والعري ، فيحس من نفسه بأنه يتجرع تلك الغصص التي يتجرعها البائس ببؤسه ، ويرى نفسه بأنها تتقلب بين آلام الجوع والعري التي يتقلب بينها هذا البائس الكئيب ، فهذا الصنف من البشر هو الذي يتلقى ذلك القول النبوي بالسمع والطاعة والتنفيذ ، هو الذي يعلم مالذلك القول الشريف من قيمة غالية لاتساويها قيمة ، ومن أثر روحي فوق كل أثر

وخذ اليك أيضا من كلماته (ﷺ) الحادة في هذا المقام (مقام الحث على إثارة

العاطفة ) قوله : ومن كفى ضريراً حاجة من حوائج الدنيا ومشى له فيها حتى يقضي الله له حاجته أعطاه الله براءة من النفاق وبراءة من النار وقضى له سبعين حاجة من حوائج الدنيا ولا يزال يخوض في رحمة الله عزوجل حتى يرجع ؛ ألا ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب الآخرة واثنين وسبعين كربة من كرب الدنيا أهونها المغص ، ألا ومن تصدق بصدقة فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة ، ومن مشى بصدقة الى محتاج كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء

إن لأمثال هذه الكلمات النبوية صدى يملأ المسامع ، وإشارة خاصة تعلن بما يترتب على إعمال العاطفة من نفاسة الجزاء وسمو المكانة عند منشي الكون سبحانه في هذه الدار وفي الدار الآخرة

فصلى الله عليك يارسول الله من ناصح لأمتك ، وشفيق على من انتحل دينك الحنيف ، ومازلت ياصفوة الأنبياء تنشر لوائح النصائح بين رعيتك ، وتنعم على المسلمين بإشفاقاتك الحكيمة ، وتحثهم بأكيد كلامك المصون لأن ينظروا الى البؤساء نظر رحمة ورقة ، ويشملوهم بلحاظ الغيرة والمروءة

وذلك إنعامك عليهم يارسول الله بقولك حين تناديهم بشذرة من شذرات كلماتك الذهبية قائلاً : ألا ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب الآخرة واثنين وسبعين كربة من كرب الدنيا أهونها المغص

إنعام ملؤه الرحمة والسلامة للمسلمين ، على نمط حثك الأكيد يارسول الله بقولك الآخر حين تندبهم الى ترويح نفوس الفقراء ولو بيسير من المال عندما ترفع صوتك بهم قائلاً : ألا ومن تصدق بصدقة فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من

نعيم الجنة ، ومن مشى بصدقة الى محتاج كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء

حث ملوءه المسرة والنعيم في دار ، مصباحها نظرات المنعم الأصيل ، وقوامها رحمته المظللة على عباده المحسنين

إذاً فكان لزاماً على أرباب الجاه والنفوذ بذل مالديهم من جاه ونفوذ في سبيل اغاثة المظلومين والمنكوبين ، كما كان لزاماً على أرباب الثراء انفاق ولو القليل من ثرائهم في اغاثة من ألمت به كربة الفقر ونزلت به غصة البؤس

ومازال النبي ﷺ يحث بصنوف من كلامه تلك الطبقة الخاصة من البشر ( طبقة أرباب الجاه والنفوذ ) لاستعمال جاههم ونفوذهم في كل مقام يحتاج الى استعمال ذلك الجاه والنفوذ ، كما كان ﷺ باستمرار يحث بقوامع بيانه الجزل تلك الطبقة الأخرى منهم ( طبقة أرباب الثراء ) لأن يرفعوا ظمأ البائس ولو بفضل زهيد من ثرائهم

تلك هي طريقة النبي ﷺ بين قومه ، ومنهاجه القويم الذي شرعه لأمته حتى الموت

ولا ريب ان في استماع الأخبار النبوية الواردة في الحث على اعمال العاطفة ترويحاً للنفس ، وحرصاً على اصطناع المعروف ، ومزيد الإتقان بما لتمثيل العاطفة من الوجاهة السامية في الدنيا والآخرة

ولقد رأيت لزاماً علي ، عندما بلغ بي القلم الى بيان هذه الجملة الأخيرة ، أن أتحف قراء هذا السفر الجليل بإثبات نبذة أخرى من كلمات الرسول الأعظم ﷺ التي تتجلى عن آيات البعث لإعمال فضيلة العاطفة في المقامات التي يحسن إعمالها فيها

إننا جميعا نعلم بأن قضاء الحاجة ، والسعي في قضائها ، والوساطة الى أولي الأمر

في رفع المظلمة ، وإعانة المضطر ، وإغاثة الملهوف ؛ واسعاف المحاويج ، ورفع الأذى عن المسلمين وعن طرق المارة ، اننا نعلم بأن هذه العناوين الى ماشاكلها من عناوين اخرى هي كلها من آثار العاطفة ، ومن مولداتها الكريمة ، ومن فيوضاتها الزكية ومن ثمراتها المزيلة لأوصاب النفس والبدن

والنبي ﷺ بحكمته البليغة قد ندب المسلمين بلهجة حادة الى اعمال العاطفة بجميع مالها من هذه العناوين الفاضلة

ان النبي ، بلا ريب ، هو الأب الروحاني لهذه الأمة ، فهو اذاً يلحظهم وينظر إليهم بكامل الرقة والشفقة والحنان ، ويكشف لهم جميعا عما فيه خيرهم وصلاحهم في العاجل والآجل ، على نهج ماللأب الصلبي من هذا النظر واللحاظه بالنسبة الى أولاده الصلبيين ، بل ان النبي ﷺ بأبوته الروحانية أتم نظراً وأكمل لحاظاً وأشد مراعاتاً للمصلحة بالنسبة الى أمته من الأب الصلبي بالنسبة الى أبنائه الصلبيين

لذا تراه ﷺ يهتف بمقوله النثري البليغ ، حاثاً للمجتمع الاسلامي على اعمال العاطفة وتمثيل تلك العناوين القيمة بين المسلمين ، حين يقول : من قضى لمؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة ، وحين يقول : ان لله عباداً يحكمهم في جنته ، قيل: ومن هم ، قال : من قضى لمؤمن حاجة بينة ، وحين يقول : من سعى لمريض في حاجة فقضاها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رجل من الأنصار : يارسول الله فإن كان المريض من أهله ، فقال رسول الله : من أعظم الناس أجراً من سعى في حاجة أهله ومن ضيع أهله وقطع رحمه حرمه الله حسن الجزاء يوم يجزي المحسنين وضيعه ومن يضيعه الله في الآخرة فهو يتردد مع الهالكين حتى يأتي بالمخرج ولم يأت به ، وحين يقول أيضا : من بلغ سلطانا حاجة من لايستطيع إبلاغها إياه ثبت الله قدميه يوم القيامة ، وحين يقول ايضا : ومن شفع لأخيه شفاعة طلبها نظر الله اليه وكان حقا

على الله أن لا يعذبه أبدا فإن هو شفع لأخيه شفاعة من غير أن يطلبها كان له أجر سبعين شهيداً ، وحين يقول ايضا : من منع طالبا حاجة وهو قادر على قضائها فعليه مثل خطيئة عشار فقام اليه عوف بن مالك فقال : مايبلغ خطيئة عشار يارسول الله قال : على العشار كل يوم وليلة لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا،وحين يقول ايضا : أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مؤمن تطرد عنه جوعته أو تكشف عنه كربته ، وحين يقول أيضا: تنافسوا في المكارم وسارعوا الى الغنائم واعلموا ان حوائج الناس اليكم من نعمته عليكم ، وأجود الناس من يعطي من لا يرجوه ، وحين يقول أيضاً : ومن مشي في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله ، وحين يقول أيضا: من قضى لاخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهره،وحين يقول أيضا: إن لله عباداً من خلقه تفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله ، وحين يقول أيضا : من رأى مظلوما فاستغاث به ولم يغثه ضرب في قبره مائة سوط ، وحين يقول أيضا : ما من عبد يدخل على أهل بيت مؤمن سروراً إلا خلق الله له من ذلك السرور خلقا يجيئه يوم القيامة كلما مرت عليه شديدة يقول يا ولي الله لاتخف فيقول من أنت رحمك الله فلو أن الدنيا كانت لي مارأيتها لك شيئا فيقول أنا السرور الذي أدخلته على آل فلان . وحين يقول أيضا : إن أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمنين إنك ترى أن لسان هذه الكلمات النبوية إنما هو لسان حث على التزين بمكارم الأخلاق ، إذ أي شيء أدل على مكارم الاخلاق من تمثيل ناموس العاطفة بتلك العناوين المشار اليها آنفا ، وإن في تمثيل فضيلة العاطفة من شرف التواضع ما هو زينة للإنسان . كذلك إن تلك الكلمات النبوية تعطي بلسانها الحاد جمال التبشير بما يفوز به من أعمل عاطفته ، من ذكر طيب عاطر في هذه الحياة ، ودرجة رفيعة سامية بعد الممات ، إن هذا هو جزاء من يحنو على أبناء نوعه

برقة وانكسار ، ويعطف على البائس منهم ، ويكون عون المضطر ، ويمشي مع المظلوم لرفع ما به من ظلم .

لقد أدلى النبي ﷺ بهذه البيانات الحكمية الاخلاقية على رؤوس المسلمين من صحابته ، وخاطب بها الحاضرين معه والغائبين عنه ومن سيوله إلى قيام الساعة .

ونثر ﷺ تلك الجمل الارشادية بفصاحة من الكلام ، وبلاغة من القول ، وهو إنما يريد لامته بذلك أن يلتحفوا بالمحامد ، ويأتزروا بالمحاسن ، وان يسودوا من تقدمهم من الامم بتمثيل جمال العاطفة صغاراً و كباراً ؛ نساء ورجالا .

نعم ويريد النبي ﷺ لامته بذلك أن يكونوا سعداء مفلحين في دار البقاء ، وأشرافاً نبلاء في دار الفناء .

إن ذلك الموقف المهيب للنبي ﷺ أمام نثر تلك الكلمات انما هو احدى تجلياته الزاهية في طيبة والحجاز حين أشرق محياه على جبالها بأنوار النبوة .

## ﴿ كلام الامام أمير المؤمنين (ع) في الحث على اعمال العاطفة ﴾

وكما كان للنبي ﷺ هذا التجلي الخاص في مقام الحث على تمثيل العاطفة بتلك المناهج الخاصة فقد كان أيضا لاخيه وابن عمه علي (ع) مثله ، وذلك فان الوصي انما ينهج نهج النبي ويحذو حذوه في القول والعمل بمقتضى أنه قائم مقامه ، وجرياً على نظرية التوازن بين الوصي والنبي .

إن في نفس النبي بواعث روحانية متأصلة ، تأخذ بيده إلى مدارج الرقي وحيث تقطن الارواح الكاملة في الملكوت الاعلى ؛ وتريه صور السجايا الحميدة والذميمة وبها ينبعث النبي لان ينشر على صفحات الوجود من صفحات هاتيك السجايا فيأمر بالحميدة منها ، وينهى عن الذميمة أيضا . إن هذه البواعث المرسومة في نفس النبي قائمة في نفس الوصي وفي نفوس الاوصياء أجمع ، فتأخذ بأيديهم إلى تلك المدارج كما

كانت تأخذ بيد النبي ، وتريهم صور تلك السجايا كما كان للنبي مرآها ، ويبعثون بها لان ينشروا على صفحات الوجود ، الامر بالسجايا الحميدة والنهي عن الذميمة منها على نمط ما كان للنبي من هذا الانبعاث .

وعليه فقد كان للإمام علي (ع) مثل ذلك التجلي النبوي ، لذا تراه قد زين هذا الوجود بنشرة من كلماته الخالدة في مقام الحث على تمثيل جمال العاطفة وتوزيع مالها من ثمرات وفوائد في المحال اللازمة ، فيقول (ع) :من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب ؛ ويقول أيضاً : أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ويقول أيضاً : من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله ، بل ويقول أيضا « في آخر خطبة خطبها كما نقل» : ومن شكا اليه أخوه المسلم فلم يقرضه حرّم الله عليه الجنة يوم يجزي المحسنين، ويقول (ع) أيضاً لكميل بن زياد . يا كميل مُرْ أهلك أن يروحوا في المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلبا سروراً الا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً ، إذا نابته نائبة انحدر عليه كالسيل في انحداره فيطردها كما يطرد غرائب الإبل

ومن يتأمل في هذا الكلام للإمام علي (ع) فإنه يجد به البلغة الكافية والمرام الشافي من حيث استنهاض أرباب الجاه والنفوذ واليسر لاغاثة الملهوف الحزين ،ورفع الكربة من نفوس نفر من البشر أناخ عليهم الدهر بكلكله ، وأذاقهم مرّ الأسى ، وأحل بفنائهم لوعة البؤس والفاقة .

إن الإيمان ؛ والاسلام ، والتوحيد ، إنما يتمثل هذا كله في نفسية من امتلأت أعضاؤه، وعروقه ، وأنفاسه ، وجميع مشاعره وقواه ، بتلك العاطفة ، الفياضة بنعمائها

وخصبها على ذلك النفر البائس الضعيف ؛ على من رمته نوائب الزمن بسهامها الفتاكة على من صار غرضا للظالم المستبد الغشوم ؛ على من أصابته ذلة الحاجة والمسكنة بعد نعيم العز والغنى .

إن المروءة ، والشهامة ، والغيرة والحمية ، إنما يزدان بها الانسان ، وإنما يتجلبب بجمالها الزاهي بعد أن يرى منه أبناء نوعه ، وأبناء قطره وبلده ، وأبناء جواره وذوو رحمه ، تلك العاطفة بما لها من تلك الفيوضات البهيجة ، المنعشة للابدان ، والسارية بروحها بين الأحشاء والضلوع .

إن هذا كله ينبيء عنه ذلك الكلام البليغ للامام علي (ع) ، ويلمع اليه بشعاع من أضوائه النافذة .

( كلمات الأئمة الأطهار (ع) في الحث على انعاش النفوس بثمرات العاطفة )

وعلى نهج النبي والإمام سار الأئمة الهداة ابناء علي الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فاستفزوا العزائم واستنهضوا الأبرار بكلماتهم ونصائحهم للنظر في أحوال الصنف البائس من البشر ، والإعتناء بإسعاف طريح الظلم ، والتفريج عن صريع نبال الدهر ؛ وأبان أولئك الأطائب صلوات الله عليهم أجمع عما لهذا كله من عظيم الزلفى وسمو المقام في جوار المنعم الأصيل تبارك وتقدس

لقد أبان أبناء علي الأبرار عن هذا كله بأقوالهم وأفعالهم ، وحرضوا أولي السلطة والوجاهة والإستطاعة لتلبية نداء المستنجد المستجير ، وإجابة اللاجيء المستغيث وترويح المستعطف الملهوف

فكان الرسول الأعظم والإمام أبو الحسن ، والأئمة الميامين الأنجاب ، على نمط واحد من السير الحكمي المبين ، وعلى مشرب واحد من الغذاء الروحي الإلهي ، وعلى خطة واحدة في مقام الحث على تمثيل هاتيك العواطف المودعة في نفوس المسلمين ،

والممتزجة بها دمائهم الحية

وإليك في المقام يسيراً من بليغ أقوال أولئك الأطايب أبناء علي الأطهار ، قال الامام أبو عبد الله (ع) للمفضل : يامفضل اسمع ماأقول لك واعلم انه الحق وافعله واخبربه علية اخوانك قلت : جعلت فداك وما علية اخواني ، قال (ع) : الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم ، قال : ثم قال (ع) : من قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عزوجل له يوم القيامة مائة الف حاجة ، من ذلك أولها الجنة ، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لايكونوا نصاباً ، وكان المفضل اذا سئل الحاجة أخاً من إخوانه قال له : أما تشتهي ان تكون من علية الإخوان ، وقال (ع) أيضا لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب الي من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف ، وقال (ع) أيضا : ان الله خلق خلقا من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة فان استطعت أن تكون منهم فكن ، وقال المشمعل : خرجت ذات سنة حاجا فانصرفت الى الصادق (ع) فقال : من أين بك يامشمعل فقلت : جعلت فداك كنت حاجا فقال (ع) : أوماتدري ماللحاج من الثواب فقلت : ما أدري حتى تعلمني فقال (ع) : ان العبد اذا طاف بهذا البيت اسبوعاً وصلى ركعتيه وسعى بين الصفا والمروة كتب الله له ستة آلاف حسنة وحط عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة وقضى له ستة آلاف حاجة للدنيا كذا وادخر له في الاخرة كذا ، جعلت فداك إن هذا لكثير ، قال (ع) : ألا اخبرك بما هو اكثر من ذلك قال : قلت بلى ، فقال (ع) لقضاء حاجة امرء مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة حتى عد (ع) عشر حجج ، وقال ابراهيم التميمي . كنت أطوف بالبيت الحرام فاعتمد علي ابو عبد الله (ع) فقال : ألا اخبرك يا ابراهيم مالك في الطواف هذا قال : قلت بلى جعلت فداك قال (ع) : من جاء الى هذا البيت عارفا بحقه فطاف به اسبوعا وصلى

ركعتين في مقام ابراهيم (ع) كتب الله له عشرة آلاف حسنة ورفع له عشرة آلاف درجة ، ثم قال (ع) : ألا اخبرك بخير من ذلك قال : قلت بلى جعلت فداك فقال (ع) من قضى أخاه المؤمن حاجة كان كمن طاف طوافا وطوافا وطوافا حتى عد (ع) عشرا وقال الصادق (ع) في حديث : مارأيت شيئا أسرع إلى الغنى ولا أنفى للفقر من إدمان حج البيت ، وصلاة فريضة تعدل عند الله الف حجة وعمرة مبرورات متقبلات ، والحجة عند الله خير من بيت مملوء ذهبا ، لا بل خير من ملء الدنيا ذهبا وفضة ينفق في سبيل الله ، والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً لقضاء حاجة امرء مسلم وتنفس كربه أفضل عند الله من حجة وطواف وعمرة حتى عد (ع) عشرة ، وقال ابو عبدالله (ع) : كفى بالمرء اعتماداً على أخيه أن ينزل به حاجته ، وقال (ع) لعثمان : ياعثمان لوعلمت ما منزلة المؤمن من ربه ما توانيت في حاجته ، ومن أدخل على مؤمن سروراً فقد أدخل على رسول الله ﷺ وقضاء حاجة المؤمن يدفع الجنون والجذام والبرص ، وقال علي بن جعفر سمعت أبا الحسن (ع) يقول من اتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها اليه فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا وهو موصول بولاية الله ، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلط الله عليه شجاعا من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذبا ، فإن عذره الطالب كان أسوء حالا ، وقال ابن عباس : كنت مع الحسن بن علي عليهما السلام في المسجد الحرام وهو معتكف وهو يطوف حول الكعبة فعرض له رجل من شيعته فقال : يابن رسول الله ان علي دينا لفلان فإن رأيت ان تقضيه عني فقال (ع) : ورب هذا البيت ما أصبح عندي شيء ، فقال : إن رأيت أن تستمهله عني ، فقال ابن عباس : فقطع الإمام (ع) الطواف وسعى معه ، فقلت يابن رسول الله ألست انك معتكف فقال (ع) : بلى ولكن سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قضى أخاه المؤمن

حاجة كان كمن عبد الله تسعة الاف سنة صائماً نهاره وقائماً ليله ؛ وقال صفوان الجمال: كنت جالساً مع أبي عبد الله (ع) إذ دخل عليه رجل من أهل مكة يقال له ميمون فشكا اليه تعذر الكراء عليه فقال لي : قم فأعن أخاك فقمت معه فيسر الله كراه فرجعت الى مجلسي فقال ابوعبد الله (ع): ماصنعت في حاجة أخيك فقلت : قضاها الله بأبي أنت وامي فقال (ع) : أمالك ان تعين اخاك المسلم أحب الي من طواف اسبوع بالبيت مبتدأ ، وقال معمر : سمعت أبا الحسن (ع) يقول : ان لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرح الله قلبه يوم القيامة ، وقال ابن سنان قال أبو عبد الله (ع) : قال الله تعالى الخلق عيالي فأحبهم الي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم ، وقال أبو جعفر (ع) أوحى الله الى موسى (ع) إن من عبادي من يقترب الي بالحسنة فأحكمه في الجنة فقال موسى(ع) : يارب وما تلك الحسنة قال :يمشي مع أخيه المؤمن في قضاء حاجته قضيت أم لم تقض ، وقال ابو بصير : قال ابو عبد الله (ع) : تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله فإن للجنة باباً يقال له المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا فإن العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن فيوكل الله به ملكين واحداً عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربه ويدعوان بقضاء حاجته ، ثم قال (ع) : والله لرسول الله ﷺ أسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة وقال الصادق (ع) : من كان في حاجة اخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة اخيه ، وقال زيد الشحام سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يجعل له واحدة منها يصلح بها أمر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله ، وقال أبو عبد الله (ع) : من نفس

عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد وقال زريح : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : أيما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عوراته التي يخافها في الدنيا والآخرة ، قال (ع) والله في عون المؤمن ما كان في عون اخيه ؛ فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير ، وقال أبو عبد الله (ع) : من كانت له دار فاحتاج مؤمن الى سكناها فمنعه اياها قال الله عزوجل ملائكتي أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدار وعزتي لا يسكن جناني أبدا ، وقال (ع) أيضا في حديث : ما آمن بالله ولا برسوله ولا بولايتنا أهل البيت من أتاه المؤمن في حاجته ولم يضحك في وجهه فإن كانت عنده قضاها وإن لم تكن عنده تكفلها له حتى يقضيها له وإن لم يكن كذلك فلا ولاية بيننا وبينه ولو علم الناس ما للمؤمن عند الله لخضعت له الرقاب فإن الله اشتق للمؤمن اسما من اسمائه فالله هو المؤمن وسمى عبده مؤمنا تشريفا له وتكريما وانه يوم القيامة يؤمن على الله تعالى فيجير إيمانه وقال الإمام (ع) في خبر : من كان عنده فضل ثوب فعلم بحضرته مؤمنا محتاجا اليه فلم يدفعه اليه أكبه الله في النار على منخريه ، وفي خبر آخر قال : من بات شبعان وبحضرته مؤمن جائع طاوٍ قال الله : ملائكتي أشهدكم على هذا العبد أتي أمرته فعصاني وأطاع غيري وكلته إلى عمله وعزتي وجلالي لا غفرت له أبدا ؛ وقال أبو عبد الله (ع) : من أدخل على مؤمن سروراً خلق الله من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته فيقول له : إبشر يا ولي الله بكرامة من الله ورضوان ثم لا يزال معه حتى يدخله قبره فيقول له مثل ذلك ثم لا يزال معه عند كل هول يبشره ويقول له مثل ذلك فيقول له : من أنت رحمك الله فيقول : أنا السرور الذي أدخلته على فلان ، وفي حديث آخر قال ابو عبد الله (ع) : إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال

يقدمه أمامه ؛ كلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال : لا تفزع ولا تحزن وابشر بالسرور والكرامة من الله فما زال يبشره بالسرور والكرامة من الله حتى يقف بين يدي الله فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى الجنة ، والمثال أمامه فيقول له المؤمن : رحمك الله نعم الخارج أنت خرجت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك فمن أنت ، قال فيقول : أنا السرور الذي كنتَ أدخلتَه على أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله منه لأبشرك ، وفي خبر آخر عنه (ع) قال : من سرّ مؤمناً سره الله يوم القيامة وقيل له تمن على ربك ما أحببت فقد كنت تحب أن تسر أولياءه في دار الدنيا فيعطى ما تمنى ويزيده من عنده ما لم يخطر على قلبه من نعيم الجنة ، وقال أبو عبد الله (ع) : أوحى الله إلى داود (ع) ان العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنتي فقال داود : يا رب وما تلك الحسنة قال : يُدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة قال داود يارب حق لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك ، وقال أبو جعفر (ع) تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عُبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن ، وقال هشام قال ابو عبد الله (ع) من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن ، إشباع جوعته ، أو تنفيس كربته ، أوقضاء دينه ، وفي العدة لابن فهد قال حدث الحسين بن يقطين عن أبيه عن جده قال وُلي علينا بالاهواز رجل من كتّاب يحيى بن خالد وكان علي بقايا خراج كان فيها زوال نعمتي وخروجي عن ملكي فقيل له إنه ينتحل هذا الأمر فخشيت أن القاه مخافة أن لا يكون مابلغني حقا فيكون فيه خروجي عن ملكي وزوال نعمتي فهربت منه الى الله تعالى وأتيت الصادق (ع) مستجيرا فكتب اليه رقعة صغيرة فيها ( بسم الله الرحمن الرحيم إن لله في ظل عرشه ظلاً لا يسكنه الا من نفس عن اخيه كربته أو أعانه بنفسه أوصنع

اليه معروفا ولو بشق تمرة وهذا اخوك والسلام» ثم ختمها ودفعها الي وأمرني أن أوصلها اليه فلما رجعت الى بلدي صرت ليلاً الى منزله فاستأذنت عليه وقلت: رسول الصادق (ع) بالباب فاذا أنا به قد خرج الي حافيا ومنذ نظرني سلم علي وقبل مابين عيني ، ثم قال: يا سيدي انت رسول مولاي فقلت نعم فقال : قد أعتقتني من النار إن كنت صادقا فأخذ بيدي وادخلني منزله واجلسني في مجلسه وقعد بين يدي ثم قال: ياسيدي كيف خلفت مولاي فقلت بخير فقال: الله ، فقلت : الله ، حتى أعادها ثلاثا ، ثم ناولته الرقعة فقرأها وقبلها ووضعها على عينيه ، ثم قال ياأخي مر بأمرك قلت في جريدتك علي كذا و كذا الف الف درهم وفيه عطبي وهلاكي فدعا بالجريدة فمحى عني كل ما كان فيها وأعطاني براءة منها ثم دعا بصناديق ماله فناصفني عليها ثم دعا بدوابه فجعل يأخذ دابة ويعطيني دابة ، ثم دعا بغلمانه فجعل يعطيني غلاماً ويأخذ غلاما ، ثم دعا بكسوته فجعل يأخذ ثوبا ويعطيني ثوبا حتى شاطرني في جميع ملكه ويقول هل سررتك فأقول إيه والله وزدت علي السرور فلما كان في الموسم قلت والله ما كان هذا الفرح يقابل بشيء أحب الى الله ورسوله من الخروج الى الحج والدعاء له والمصير الى مولايه وسيدي الصادق (ع) وشكره عنده وأسأله الدعاء له فخرجت الى مكة وجعلت طريقي الى مولايه فلما دخلت عليه رأيت السرور في وجهه فقال (ع) يافلان ما كان من خبرك مع الرجل فجعلت أورد عليه خبري وجعل يهلل وجهه ويسر السرور فقلت ياسيدي هل سررت بما كان منه الي سره الله تعالى في جميع أموره فقال (ع) إي والله لقد سرني ولقد سر آبائي ، والله لقد سر أمير المؤمنين ولقد سر رسول الله ، والله لقد سر الله في عرشه ، وهناك نادرة أخرى تشابه هذه النادرة من حيث الإلماع عما لتمثيل العاطفة من جمال الخلق ، وسمو المكانة عند الله سبحانه ، ولقد رأيت من الضرورة إثباتها في هذا المقام تعميماً للفائدة ، وإعلاناً عما

كان فيه اهل البيت عليهم السلام من مزيد الإهتمام بأمور المؤمنين والجد في قضاء حوائجهم ، ولقد أثبت هذه النادرة الأخرى في التهذيب عن رجل من أهل سجستان قال رافقت أبا جعفر (ع) في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم فقلت له وأنا معه على المائدة وهناك جماعة من أولياء السلطان إن والينا رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعلي في ديوانه خراج فإن رأيت أن تكتب اليه بالإحسان الي فقال (ع) لا أعرفه ، فقلت إنه على ما قلت من محبيكم اهل البيت و كتابك ينفعني عنده فأخذ (ع) القرطاس فكتب ( بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن موصل كتابي ذكر عنك مذهباً جميلاً ، وإن مالك من أعمالك الا ما احسنت فيه فأحسن الى إخوانك واعلم ان الله يسألك عن مثاقيل الذر والخردل فلما وردت سجستان سبق الخبر الى الحسين بن عبد الله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني من المدينة على فرسخين فدفعت اليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه ثم قال لي ماحاجتك فقلت خراج علي في ديوانك قال فأمر بطرحه عني وقال لا تؤد خراجا مادام لي عمل ثم سألني عن عيالي فأخبرته ببلغهم فأمر لي ولهم بما يقوينا وفضلاً ، فما أديت في عمله خراجا مادام حياً ولاقطع عني صلته حتى مات .

( فذلكة وتحليل في كلام الامام علي ، وكلمات الائمة الاطهار في المقام )

فهذا ما أردنا إثباته في المقام من كلمات الأئمة الهداة ابناء علي الأطهار عليهم السلام ، ولعلك تستكثر ما أوردناه منها ؛ ولكنه قليل بلحاظ ما تكشف عنه من نفاسة الجزاء لمن قام بتمثيل العاطفة بتلك الطرق المشار اليها بهاتيك الكلمات الفريدة إنه قليل ازاء ما تحمله هذه الكلمات من التسجيع للحنو على اليائس الضعيف ، للإعتناء الجد بقضاء حوائج المؤمنين ، للمسارعة الى ستر ما بهم من عري ، ولسد ما نابهم من فاقة ، ورفع مانزل بهم من نعد وجور ، إنه لايقال لكثير اللآلي كثير مهما بلغت

كثرتها ؛ إن كلمات الأئمة الهداة أكانت في المقام أم في غيره هي أشد نفاسة وأعلى قيمة من اللآلي المتقدة بوهجها ولمعانها

اجل ، إن ما ترمي اليه كلمات أهل البيت النبوي من الهدف الجوهري المتأصل أعود نفعاً للنفوس البشرية وأجل فائدة للمجتمع الإنساني في الشرق والغرب من منافع وفوائد لآلي الذهب واللجين

إن كنت مؤمناً ، ان كنت مسلماً ، ان كنت موحداً ، فانظر وتأمل في كلام الإمام أبي عبد الله (ع) حيث يقول ، وما أبدعه من قول ، من أحب الأعمال الى الله إدخال السرور على المؤمن ؛ إشباع جوعته ، أوتنفيس كربته ، أو قضاء دينه . وبالهذا من كلام رائع يهز الأعضاء ويأخذ بمجامع القلب ، إنه كلام خطير بسبكه ومعناه فقد بلغ الغاية من الإيجاز والبلاغة ، وأشار الى السر المبين ، المبتني عليه جمال تمثيل العاطفة بهذه المناهج المذكورة ( إشباع جوعته أوتنفيس كربته أو قضاء دينه )

وإن كنت ذا دين رصين تدرك حسن الأفعال الحميدة وتعلم مالها من مآل زاهر بالنعيم المؤبد فاعطف النظر والتأمل على قوله (ع) الآخر إن لله في ظل عرشه ظلاً لايسكنه الا من نفس عن اخيه كربته أو أعانه بنفسه أو صنع اليه معروفا وبالهذا من كلام بهيج يستفز المشاعر ، ويستحث الجوارح ، ويدفع بروحانيته الطبقة المؤمنة للقيام بمهمة التنفيس عمن وطأه الدهر بسنابك بغيه فأنزل به آلام البؤس وأوهن قواه بأنفاسه النارية المحرقة

وإن كنت ذا شعور حي وذا خاطرة حساسة فاعطف النظر والتأمل مرة أخرى على قوله(ع) الآخر : والله في عون المؤمن ما كان في عون اخيه فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير وياالله مالهذا الكلام من وقع حار في نفس العاقل اللبيب ، ومن بعث شديد لذوي السلطة والرخاء لأن ينهضوا مسرعين لاعانة من رماه البؤس

بقبس من رمضائه المردي .

كذلك يزداد المرء نشاطا ، فيمشي وهو ممتلئ إيمانا ، وينبعث عن عزيمة صارمة قد بلغت منتهاها ، وذلك عندما يعطف النظر والتأمل على قوله (ع) الآخر تنافسوا في المعروف لإخوانكم و كونوا من أهله فإن للجنة باباً يقال له المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا ) ومهما رأى الإنسان مشقة وعناء في سبيل اصطناع المعروف فهو راحة ونعيم عند النظر في سطور هذا الحديث وبعد التأمل فيما لاصطناع المعروف من هذه العقبى الثمينة

كذلك يرتفع بالإنسان عقله،ويسمو به فكره وشعوره ، وينبثق بين جوانحه علمه وعرفانه ، وتغمره بهجة الإرتياح ببردها المتألق ، وذلك عند ما يعطف النظر والتأمل على قول الامام أبي الحسن (ع) حين يقول : إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرح الله قلبه يوم القيامة ، إن للعقل وقفات نبيلة عندما يرى بمرآته الصقيلة أمثال هذا الحديث وحينما يرتسم على صفحاته أسرار الفضيلة ، وفوائدها الاجتماعية والنفسية

يقف العقل خاضعا ، ويمثل بين يدي نداء الحق مذعنا ، ويبعث الإنسان لتوزيع ماللعاطفة من ثمرات جسيمة ، وذلك عندما ينظر الى الامام ابي عبد الله (ع)وهو يحث أهل السعة والتمكن والنفوذ لاسعاف المحاويج وإغاثة أهل الضر بقوله : قال الله تعالى الخلق عيالي فأحبهم الي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم صدق الله تعالى وصدق أهل البيت وفاز المتمسك بعراهم والممتثل لأقوالهم ، إن العقل يرى بروحانيته الذاتية جمال هذا الحديث ، ويحكم بأن لمحاسن الأقوال والأفعال أسراراً خاصة يدركها من يوحى اليه من أنبياء الله ورسله ، ويصل الى جوهرها من انتخبه الله وانتجبه للوصاية والخلافة عليا وأبناءه الأطهار ويمشي إثر هؤلاء مشية تسليم وتصديق من

صفت فكرته وتخلص عقله من شبهات التمويه وقيود الأطماع ، وأنت بفكرك وعقلك وإيمانك تقف صاغياً مطمئنا ، باخلاص وصفاء ، وحماس يستفز منك الجوارح وذلك عندما ترى الامام أبا عبد الله (ع) يقول : ومن أدخل على مؤمن سرورا فقد أدخل على رسول الله ، وقضاء حاجة المؤمن تدفع الجنون والجذام والبرص

كذلك يعجب المرء بالأئمة الأطهار ، وينظر اليهم بنظرة الاجلال والاكبار وذلك عندما يشاهد منهم تلك المواقف المهيبة في سبيل الحث على الأخذ بيد البائس الضعيف ، وإسعاف المظلوم المضطهد ، ويزداد المرء اجلالاً واكباراً لأولئك الصفوة الميامين عندما يراهم قد أتحفوا الأمة الاسلامية جمعاء بكمية وافرة من نصائحهم وارشاداتهم في شتى الموارد والمقامات ، ولا يزال المرء في هذا الإزدياء من الاجلال والاكبار كلما جدد النظر وأعاده فيما لأولئك الأئمة الهداة من الفيوضات الروحانية في كل علم وفن وطريقة ، وانما السعيد لا محالة من اقتبس من هذه الفيوضات فأخذ منها لنفسه جنا العلم والعرفان واستقى من نبعها الزاخر صفو الحياة لروحه وجسمه

أجل يعجب المرء بأهل البيت عليهم السلام أي إعجاب عندما يكر النظر في صفحات الكتب فيرى في طيها كلماتهم الحكمية تشع متلألأة بما أنبأت عنه من سمو المكانة لذوي العاطفة المنبثقة على جماعة البؤساء الذين سامهم الدهر بخسفه وأثقل عواتقهم بمضضه المجهد .

أيعجب المرء لامحالة وترتعد منه الفرائص عندما يلمع أمام عينيه ويصك سمعه قول الامام أبي عبد الله (ع) حينما يهتف بجماعات المسلمين قائلاً : من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله له بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له واحدة منها يصلح بها أمر معيشته ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة واهواله ، فبمثل هذا الترغيب والتشويق

يستنهض أهل البيت همم المسلمين للنظر في حال البائس، والجائع ، والعاري ؛ والمضام الكالح ، وذي الزمانة المقعد ؛ والاعتناء بالسائل والمحروم .

ومعها خبر الانسان مساعي الأئمة الاطهار عليهم السلام طيلة أيام حياتهم فلا يراها إلا محض إخلاص للاسلام والمسلمين ؛ ولا يأنس منها إلا أنهم كانوا في كل لحظة من ساعات الليل والنهار يبذلون قصارى الجهود لسيادة الشعار المحمدي في سائر أقطار العالم، وكم لهم صلوات الله عليهم من مواقف كريمة زفوا فيها عرائس الأقوال وخرائد المنثور للمجتمع الاسلامي يستفزون بذلك عزائمهم لأن يلتفوا جميعاً حول ناموس الاسلام ، ويدافعوا عن بيضة الدين الحنيف بالنفس والنفيس ، ولأن تكون قلوبهم بمثابة قلب واحد في توحيد العزيمة وصدق النية وإعطاء الرأي الصحيح كبحاً للعدو الضاري الكلب ودفعاً ليده الاستعمارية المسمومة .

كذلك يقطع الانسان مرحلة شاسعة من مراحل الحياة ، ويرى في سيره وسراه من المتاعب والمشاق ما يدعه يفكر كثيراً في سر هذا الكون ، وعلى هذا تمر تلك المرحلة بالانسان وهي مفعمة بالعظات والعبر ، ولايفتح عينا ويغمض أخرى إلا وهو يشاهد فيها ما يصبح منه في دهشة من متناقضات الحياة الانسانية ومتضادات التطور الزمني ، ذلك حين يرى ما فيه من عوالم مختلفة ، بشكلها وتكوينها ، ومتباينة، بأنظمتها العمرانية ولغاتها اللسانية، ويبصر الانسان ، لامحالة ، في هذه المرحلة التي يتخطاها نفراً من البشر هم من البشر بخلقهم الانساني ، وفوق البشر بعلمهم وعرفانهم، وسمو أفكارهم ، وسداد آرائهم، وتألههم في ذات الله تعالى ، وخطر جهودهم في سبيل انعاش الشريعة الاسلامية ونشر مبادئها السامية وفروعها الزاكية في الشرق والغرب وفي مختلف أنحاء هذا الوجود أولئك هم الائمة الهداة أبناء علي(ع) الأطهار وتلك هي محجتهم البيضاء ومنهجهم الأغر الأبلج .

وهكذا تبرز عاطفة الأئمة الأطهار نيرة في هذا الوجود على أهله وأبنائه ،وعلى ذلك المنوال يتجلى حنانهم بلحن من أقوالهم ، وإنك لتنظر في هذا الوجود وتمد النظر فيما اختبأ فيه واستكن، فيما ظهر فيه وبطن ، فيما استنار في أرجائه ولمع ، فيما زانه وحلاه ، وإذا بك ترى من مكان بعيد لمعة وضاءة على صفحة من صفحاته .

وما تلك اللمعة

أجل ، هي شذرة من شذرات الإمام الصادق (ع) حين يندب المسلم لأن يكون عضيداً لأخيه المسلم فى المهمات، وقائما بقضاء حاجته مهما أمكن ، وذلك حين يقول: «من كان في حاجة اخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه» ، على نمط هتافه (ع) الآخر بالمؤمن من شيعته ومواليه لأن يكون لاخيه عوناً ونصيراً ، لأن يكون مجنّا له في النوب والشدائد ، وذلك حين يقول (ع) :من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد ، وما كان هذا الهتاف من الإمام الصادق (ع) الا أحدى هاتيك الشذرات الذهبية التي بزغت في منثوره الحكيم وطلعت بمصباحها المتوقد في هذا الوجود لتودع في نفوس البشر دافع العاطفة ، على حد ما اتحفنا به هتافه (ع) الآخر حين يقول:« أيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عوراته التي يخافها في الدنيا والآخرة» ، إن لهذا الهتاف ولغيره مما طرق سمعك صدى بعيداً في هذا الكون يدع النفوس في سكر الإرتياح لتلك البشارات القيمة التي كشف عنها الائمة الاطهار ، وأدلوا بها ألطافاً جساماً لذلك النفر المؤمن الذي أعمل عاطفته في خدمة إخوانه ؛ وما زال كلامهم صلوات الله عليهم يخلع على النفوس حلل البشرى السعيدة ، ويلبسها أبراداً متألقة هي مثال رغد العيش وهنيئه المخلد .

ما أغلى هذه الحلل والأبراد ، وانعم بها من أرباح وجوائز يسعد بمغنمها من لبى

دعوة الائمة الاطهار عليهم السلام .

إن دعاية الأئمة الهداة إنما تقوم على تمثيل الكمال والجمال ، فإنهم إنما يدعون الى كمال النفوس وجمال الارواح ، وانما يندبون بعقول من عزمهم الصارم الى مابه فلاح الإنسانية وارتقاؤها الى أوج من النعيم الأسمى الذي لايبيد

إن الإنسان لايزال يرى نفسه ضئيلاً من حيث الكمال ، متأخراً من حيث العلم إنه ؛ ولا ريب ، يتنقل في هذه الحياة على أطوار مختلفة ، ويشاهد بعينيه ألوانها المتقابلة ويتذوق حلوها ومرها ، ويلمس خيرها وشرها ، والنافع منها والضار ، ويتسنم فيها مناصب لها مكانتها السامية في المجتمع ، لها زهو ونفوذ ؛ وعز ومجد ، إن الإنسان في هذا كله يعلم ، إذا رجع الى نفسه وحاسبها ، أنه لم يقم بتلك الأعمال النبيلة التي توهله لأن يكون إنساناً بحق منذ أن خلق الله تعالى الإنسانية بشكلها الكامل ومنذ أن أخذ الله عليها عهداً لازما لينصرن أفرادها بعضهم بعضا ، وليقومن ذوو اليسر بقضاء حوائج المعسرين ، وذوو السلطة والإستطاعة للأخذ بأيدي الضعفاء المضطهدين ، أما كلام الأئمة الهداة فانه يعطينا منهج السير الصحيح في هذه الحياة لأفراد الإنسانية ، ويرشدنا ببيانه المحكم الى مايقتضي أن يكون عليه بعضنا مع بعض من الحنان والعاطفة والانبعاث الجدي لنصرة البائس وإغاثة الملهوف

هلم فانظر وتأمل في قول الامام الصادق (ع) وقد لمح أمامك آنفا وهو : كفى بالمرء اعتماداً على أخيه أن ينزل به حاجته ، أجل ، فكيف يرجعه خائبا وقد اعتمد عليه في حاجته ، أم كيف يجبهه بالرد وهو متمكن من إدخال السرور عليه بقضائها ؛ انه عار على المؤمن أن يرجع أخوه من عنده باليأس من نواله ، وقبيح منه أن يؤوب قاصده بالفشل وهو القادر على تزويده بالنجاح وبلوغ المراد

أيها الفطن اللبيب ، والمثقف الجديد ، ويا ابن مدارس العصر الحديث ، وفطيم

الكلية والجامعة ، أين أنت عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى والنور المتلألئ في ليالي الظلم ، أين أنت عن تعاليم الائمة الاطهار ، تلك التعاليم المفعمة بفنون الحكمة وضروب الامثال ، وآيات العلم والعرفان ، أين أنت عن مناهجهم النيرة بشتى أنواع الفضيلة ، والمتكفلة بالوصول الى معالي الرتب والاماني ، أين أنت عن سيرة علي وأبنائه الاطائب ، الذين برهنوا للملأ بأفعالهم الحسنى عن ارتقائهم الاسمى الى الملكوت الاعلى ، والذين أعلموا من في الشرق والغرب بجميل أعمالهم وأقوالهم عما يجب أن يكون فيه من يتحفز للتربع على عرش الخلافة من محض الكمال الذاتي ، وقداسة النفس سراً وجهراً ، وغزارة العلم ، واشراق اصول الفضيلة من جميع نواحيه

ان سيرة علي وأبنائه الابرار هي السيرة التي يتمثل في طيها شرف العدالة ، وناموس الحق ، وبهجة الصدق ، والاخلاص للاسلام والمسلمين ، هي سيرة التي يتجلى بين خطوطها جوهر الاباء والترفع عما يشين الدين وان كان كبيراً جسيما عند قوم آخرين ممن ركنوا الى دنيا الاهواء والاطماع ، ممن سيطر على حواسهم حب الامرة والنفوذ كمعاوية وأضرابه ممن تقدم عليه وتأخر عنه

أجل ، ان سيرة علي وأبنائه تنبيك بلا ريب عن سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وعملاً ، سراً وعلناً ، ظاهراً وباطناً

فاذا أردت العز المؤبد ، والسرور المخلد ، واستقاء العلم الصحيح ، والاستنارة بالعرفان الزكي الطاهر ، والامتلاء من الحكمة البريئة من الشبهات والاوهام ، فعليك بالورود على حياض علي وأبنائه ، على منهل علمهم الطافح ، عليك باقتفاء سيرتهم وترويح النفس بمحاسن نقاطها ، وتهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق بما أوحت به من جمال العلم والعمل ، عليك بوعي كلامهم ، واملأ حافظتك من شذراته المتقدة ، وتلق من كلامهم وسيرتهم مناهج الثقافة والتنور ، والمثل العليا لكمال الذات وطهارة

الضمير ، إن حياة النفس ، وسعادة الروح ، وإطلاق الحواس من ضغط الأوهام إنما يكون هذا كله بالرجوع الى كلام علي وأبنائه الغر ، وإلى سيرتهم العادلة.

إن في كلام علي وأبنائه الهداة ، برد الغليل والعظة البليغة لارباب النهى ، والدواء الناجع لاوباء النفس والمال ؛ والسنن القويمة لعلماء النفس والطريقة .

إن في كلامهم أجمعين ذلك الدافع الكبير لايقاد مشاعل العاطفة في نفوس ذوي اليسر والسلطة والنفوذ ، وإضاءة نفوس البؤساء المساكين والمضطهدين المعوزين بما ترسله هاتيك المشاعل في هذا الوجود من أوهاج وأنوار .

تأمل في تلك الشذرة من كلمات علي (ع) التي قد اثبتناها آنفا مع بقية أخواتها، وهي قوله لكميل بن زياد : يا كميل مُر أهلك أن يروحوا في المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات مامن أحد أودع قلبا سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً إذا نابته نائبة انحدر عليه كالسيل في انحداره فيطردها كما يطرد غرائب الإبل ، فترى في هذه الكلمة الخالدة سمواً باهراً في عالم المعاني الروحية، وحثاً مؤكداً على إثارة نيران العاطفة لتنعم باصطلائها نفوس البؤساء المحاويج ؛ إن كلمته هذه تعطيك درساً قيماً له أثره السامي في قاعة تمثيل فضيلة العاطفة على ذلك النحو الذي سنه لك الامام (ع) بقوله : مر أهلك أن يروحوا في المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم ، وعن مثل ذلك السمو المعنوي الخطير تلمع سائر قصار كلمات علي (ع) التي جاء بها وحيه الفكري، والتي قد انفجرت عن دراكته الحكيمة، والتي قد اصبحت أمثالا سائرة ، وتعاليم زاهرة لسمو البشر وسعادته .

ولقد ظهر لدينا أن لتمثيل العاطفة مظاهر كما أشار إلى هذا ما أثبتناه من كلمات علي وأبنائه الهداة ، وبأي مظهر من هذه المظاهر تمثلت فضيلة العاطفة فهو في أعلى مراتب الحسن والجمال ، وعلى أي مظهر من تلك المظاهر قام هذا التمثيل ففيه إنعاش

الجوارح وارتواء النفس من الظمأ .

إن لعلي وأبنائه الغر مزيد الاعتناء بهذه الناحية «ناحية استفزاز العزائم واستنهاض الهمم لاعمال كل ذي عاطفة عاطفته» حسب حاله ووضعه المادي والمعنوي ، كما قد برهنت كلماتهم الآنفة عن مزيد هذا الاعتناء بما قد نصبته من ترغيبات ، وتشويقات؛ وبشارات جسام ، وحث مؤكد ، وبعث شديد ، وهلم إلى مزيد الإيضاح فتأمل في قطع الامام الحسن (ع) طوافه واعتكافه في سبيل طلبه الاستمهال من بعضهم لرجل من شيعته بشأن دين له عليه فتعلم من هذا ما كان للأئمة الأطهار عليهم السلام من مزيد الإعتناء والإهتمام بتمثيل العاطفة بكل وجه ممكن ، ولم يكن في وسع الحسن (ع) في المقام قضاء دين هذا المستعين به حين قال له « يابن رسول الله إن علي دينا لفلان فإن رأيت أن تقضيه عني » كان هذا الطلب منه ، والحسن (ع) يطوف بالبيت الحرام وهو معتكف ، لقد استفز هذا الطلب شعور الحسن ومشاعره ، وماذا يصنع (ع) ويده خلو من المال في ذلك الحين ، إن الحسن (ع) كريم أهل البيت ، لقد عز عليه عدم تلبية طلبه بالإجابة حين سأله «يابن رسول الله ان علي دينا لفلان فإن رأيت أن تقضيه عني » لكن الإمام الحسن (ع) لم يفته تلطيفه وتخفيف ما أثقله من آلام الدين وذلك فإنه (ع) قد استقبله بوجه باسم ، وكلام ملؤه الرقة واللطف والحنان قائلا : ورب هذا البيت ما أصبح عندي شيء » ، ولأن يئس هذا الرجل الشيعي المستعين من نوال الامام الحسن (ع) لأنه كان فارغ اليد في ذلك الحال ولكنه لم ييأس من أن يكون الحسن وسيطاً له فيطلب له الاستمهال من الدائن لوقت اليسر لذا سأله قائلا « إن رأيت أن تستمهله عني » وما أخف هذا السؤال على الإمام الحسن (ع) إذ في وسعه أن يكون وسيطاً له بذلك فيذهب معه إلى الدائن ، ولا يمنعه من هذه الوساطة طوافه واعتكافه فإن باستطاعته (ع) أن يقطع طوافه ، لذا « قطع الطواف

وسعى معه» إلى الدائن وطلب منه الاستمهال إلى ذلك الرجل الشيعي المستعين المدين، ولا نشك بأن ذلك الدائن قد أمهله نزولا على وساطة الحسن (ع) بكل احترام، فلله أنت يا أبا محمد إذ تقطع سنة الطواف وتمضي برغبة وسرور مع من أخلص لكم الولاء، وأنت ذاك الإمام المعصوم المفترض الطاعة، وتطلب له بنفسك الاستمهال من الدائن، فهذه هي، يا أبا محمد، مكارم أخلاقكم النبوية، ومحاسن سجاياكم الهاشمية؛ المتلألئة بمنتهى التواضع وإغاثة اللاجىء اليكم بكل وجه ممكن، وما اكتفى الامام الحسن (ع) بهذا الصنع الجميل بأن كان وسيطا في المقام بل زينه وزوّده ببيان «وحي خطير يخلد مدى الدهر، وذلك حين سأله ابن عباس قائلا «يا ابن رسول الله ألست انك معتكف» لقد استغرب ابن عباس قطع الحسن (ع) لطوافه، هذا مع أنه حبر الامة والمبرز بالعلم، وحفظ الحديث، والتفسير من بين الصحابة، وليس استغراب ابن عباس بعجب فإن علمه في جنب علم الامام الحسن (ع) كنقطة في سبعة أبحر، فلا غرو بأن يكون ابن عباس قد جهل الحكم في المقام، ولا غرابة منه بأن يكون استفهامه استفهام تعجب حين يقول الحسن (ع) «يا ابن رسول الله ألست انك معتكف»، وما ترك الامام الحسن (ع) ابن عباس في حيرته هذه بل أرشده إلى الحكم الشرعي وكشف له عن جلية المقام بقوله «بلى ولكن سمعت ابي يقول: سمعت رسول الله يقول: من قضى أخاه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تسعة آلاف سنة صائما نهاره وقائما ليله»؛ لقد أبان الامام الحسن (ع) بهذا البيان الروحي المخلد عما لإدخال السرور على المؤمن من الأهمية الكبرى عند الله تعالى وان الجزاء الأخروي المترتب عليه أضعاف ما للجزاء المترتب على الطواف المندوب بلا ريب، وبهذا البيان ارتفعت عن ابن عباس حيرته ولم يبق عنده أي غرابة وتعجب حين علم الحكم الشرعي في المقام من الحسن المجتبى (ع) لقد أطلع الامام الحسن ببيانه المذكور «الحبر

الضليع ابن عباس على حقيقة روحية لها اسمى مكانة دينية اجتماعية في قلوب المؤمنين الأصفياء ، وجديرة بأن يعتني بشأنها من تحلى بموهبة العقل والايمان وتزين بلمعة من العلم والعرفان، إن تلك الحقيقة هي لزوم تمثيل العاطفة، هي إدخال السرور على المؤمن قدر الجهد ، هي قضاء حاجته ، وستر عورته ، وتنفيس كربته ، والوساطة له بكل أمر خيري ندب اليه الشرع ، والترفيه عليه بكل وجه ممكن .

لقد تفتحت مسامع ابن عباس لهذه الحقيقة ، وتلقاها من الامام الحسن (ع) بوعي واصغاء ، وعلم أنه قد فاز بجوهرة ثمينة حين استنارت فكرته بشعاع تلك الحقيقة لما أتحفه بها سبطه الرسول وريحانته أبو محمد المجتبى ، ولطالما خضع ابن عباس لقبول أمثال هذه الحقيقة من الحسن وأبي الحسن ، ولطالما أقبل بسائر حواسه للازدياد من فنون العلم واسراره من الحسن وأبي الحسن ؛ ولطالما كان يرى شخصه ضئيلا إذا مشي إلى جنب الحسن وأبي الحسن ؛ ويرى نفسه أنه عار من العلم « مع أنه حبر الأمة » إذا مثل بين يدي الحسن وأبي الحسن لاستقاء العلم منهما ، فإنه إنما يرد في هذا الحال على بحار العلم ؛ وانما يستقي من ينابيعه الفياضة ، في كل فن ، وفي كل قديم وحديث ، وفي كل ما يدركه الانسان ويصل اليه بسموه العقلي بعد حين وبعد مئات السنين من أصناف العلم المتجددة في كل عصر وزمن ، حسب ارتقاء الفكرة البشرية في الشرق والغرب .

وعوداً على بدء فإن لعلي وأبنائه الأطهار مزيد الاعتناء بغرس الدوافع والبواعث في نفوس البشر لأن ينهض المؤمن القدير بحزم ويقين فينصر أخاه البائس الضعيف بكل ما يستطيع من يد ولسان ، ومال واعتبار ، فهذه لعمر الله ناحية هامة ترمي إلى هدف جوهري خاص « هو الحث على تمثيل فضيلة العاطفة »، ولطالما أدار علي وأبنائه الغر رحا التفكير في ابتداع الطرق والاساليب الحكيمة لاستفزاز عزائم المؤمنين

لتمثيل هذه الفضيلة ، ويكفي من هذه المبتدعات ماأثبتناه في المقام من فرائد كلماتهم وخرائد حكمياتهم بما فيه الهدى والبصيرة ، وشفاء القلوب ، وريّ النفوس ، وخذ اليك من لطاف هذه المبتدعات تلك الخريدة الحسناء من كلمات علي الآنفة ، وهي قوله (ع) » من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » فتجد في هذه الخريدة سراً بليغا من أسرار البيان ، ونكتة حكمية تلمع عن سمو مااللعاطفة من أثر جسيم في عالم تكوين الفضيلة ، وفي سجل تبديل السيئات إلى حسنات ، وفي مقام تطهير النفس من سقطات الرذائل ، وإنا لانشك بأن كلاً من إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب عن إيمان ويقين سبب لتكفير قسم هام من الذنوب العظام التي يرتكبها الانسان بجهله وسوء اختياره ثم يغفل عن تداركها بالتوبة عن نصيحة وإخلاص ، هذا فضلا عما لهذين الأمرين « إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » من آثار اخرى ، لها حسنها وجمالها في الدنيا والآخرة ، ولأن سموت الى مزيد الاستبصار والاستشفاء بمحاسن الاخبار فعاود الفكر والنظر في تلك الفريدة الاخرى من مبتدعات علي السالفة ، وهي قوله (ع) ( أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهده فقد خان الله ، ورسوله ، والمؤمنين فتعلم من هذه الفريدة القيمة ؛ بعد أن يعيها سمعك وبعد أن تعمل فيها النظر بإمعان ، حراجة الموقف وسوء الحال لمن لم يقم بتمثيل العاطفة بماتقدم لها من هاتيك المظاهر ، وهو في سعة من القيام بتمثيلها ، هذا فضلا عن كونه قد ترك التحلي بفضيلة هي من سيدات الفضائل شرفا واعتباراً ، ومن عميدتها الكبرى ، التي حكم بحسنها العقل البشري من ابتداء الكون إلى نهايته .

إنك ترى أمامك أصنافا عديدة من البشر ؛ فأمامك الحاضر والبادي ، والذكر والانثى ، وسكان المدن والقرى ، وكل ذي شعور حي من أرباب الشرايع وغيرهم ،

فأنت إذا أمعنت الفكر في سائر هذه الاصناف حتى الصنف الأخير منها فإنك ترى كل واحد منها يعطيك الحكم البت بحسن تمثيل العاطفة ، وجمال نهضة الانسان لترويح نفوس البؤساء المضطهدين بما لها من فوائد جسام ، تعود «لامحالة» على البدن بالبهجة والارتياح ، وعلى الروح بالحياة الجديدة بعد اليأس .

إذاً فما أجل مكانة علي وأبنائه الهداة ، وما أسمى نفوسهم الزكية ، واصفى أرواحهم القدسية ، وما أنبل ماعندهم من علم وعرفان ، حين كان لهم مزيد الاعتناء بالحث على تمثيل فضيلة العاطفة ، كما كان لهم الانفراد في سبيل نشر العلوم والآداب والبعث الى تمثيل سائر الفضائل ، كيف لا يكون لهم مزيد هذه العناية وهم غوث البشر وغياثه أمحلوا أم أجدبوا ، المرجع العام لسائر طبقاته في كل حادث جلل من أمور الدين والدنيا ، واذا ورد البشر على علي وأبنائه الغر فانما يردون على مناهل طافحة بكل ما يعود على الانسان من منافع العاجل والآجل ، وبكل ما فيه فلاحه وسعادته ، وغذاؤه الروحي ، ونموه العقلي ، وأين رجال المسلمين ، علماؤهم ؛ وأدباؤهم ، وشبابهم المثقف ، وسوادهم المتدين ، بل ونساؤهم المتجددات بمهنة التعليم ، واللواتي يكتبن في الصحف والمجلات ، فأين هؤلاء جميعا عن الاستقاء من هذه المناهل ؛ المتلألئة بكل علم ، وبكل جهة عرفانية ، وبكل جمال للنفس ، التي قد استراح اليها رواة الحديث وأثبتوها شذرات تشع في مؤلفاتهم القيمة ، المتداولة بين أيدي الناس ؛ الخاصة منهم والعامة .

إنا لانشك ( كما ألمعنا إليه آنفا ) أن المؤسسات الخيرية عند المسلمين وغيرهم إنما تقوم على جوهر العاطفة وعلى قبسها المتوهج ، وبالأحرى أن تستقي هذه العاطفة نموها المتصل وفيضها المستمر من هاتيك الكلمات الآنفة لعلي وأبنائه الأطهار ، فهي الفرائد التي تتوجه الى جمالها الذاتي نفس الإنسان بشوق ورغبة ، والخرائد التي تنظر الى حسنها الطبيعي عيون أولي الألباب

## علي (ع) ينثر الحكم والامثال عنه مشاهدة لروح الفضيلة )

إنما كان علي وأبناؤه الغر ينشرون كلماتهم ويرسلون أمثالهم وحكمياتهم في شتى المواضيع الروحية ، عن مشاهدة لروح الفضيلة ولجوهرها الأزلي الذي ابتنى تكوينها عليه ولن ينفك عنها ما دام للفضيلة قبس زاهر ، و كأنما قد تجسم جوهر الفضيلة وتمثلت روحها قائمة أمام علي وأبنائه ، فهم ينظرون عياناً الى ما هنالك من أوهاج تتوقد ، وفيوضات تتلألأ لروح الفضيلة ولجوهرها اللامع ؛ إن هذه (وعزة الحق ) منزلة سامية لعلي وأبنائه عندما كانوا يصوغون جمل النثر باحكام للإلماع عن إحدى الفضائل وعمالها من فوائد كبرى تصب على الروح والبدن من أكؤس عطرها الفياح ما ينتعشان به طول الحياة ؛ إنها منزلة لها كمال النبل والاعتبار في مواقفهم الخاصة التي برعوا فيها بارسال البيانات المملوءة حكماً وأمثالا ، والمشربة بصافي العلم والعرفان ، والمكللة بأسرارها ودقائقها الخطيرة لنفوس البشر ، إنها منزلة تمثل فيها سر من أسرار منشي الكون سبحانه منذ قام علي وأبناؤه الأطائب يبعثون المسلمين بارشاداتهم للتحلي بمكارم الأخلاق النبوية ، ويأمرون بانذاراتهم من في الشرق والغرب ومن أحاط به سور البلاد العربية للتمشي على فروض القرآن الكريم والاهتداء بما لمع بين دفتيه من سنن عادلة ، ونواميس مرتكزة على مصلحة البشر معاشاً ومعاداً

تقتصر هذه المنزلة بما فيها من بلاغة وإفصاح ، وآية وإعجاز ، وتمثيل للحقيقة ومشاهدة لجوهر الفضيلة على علي وأبنائه الأطهار

وعليه فعلى المسلمين خاصة أن ينبعثوا الى إقامة المؤسسات الخيرية في جميع الاقطار الاسلامية عن تعاليم علي وأبنائه ، وأن يندفعوا الى إغاثة ضعفاء المرضى ، والحنو على بؤساء المسلمين وأطفالهم وأيتامهم ؛ والاشفاق على مخدراتهم الفاقدة للكفيل ، عن

مناهج علي وأبنائه ، فان في هذه المناهج القويمة التي قد مثلتها أقوالهم وأفعالهم وفي تعاليمهم تلك ، الكفاية لكل راغب في الخير والفضيلة ، من حيث الترغيب والتشويق وبيان الثمرات المحبوبة دنيا وآخرة

إن النبي ﷺ هو واضع الحجر الأساسي لاقامة تلك المؤسسات ، التي هي مأوى الفقراء ، والتي منها يستنشق الضعفاء نسيم الحياة وروح العافية ، وله ﷺ عدة مناهج حية في سبيل رفع هذه المؤسسات الخيرية ؛ و كان أول منهج سنه في سبيل اشادتها بين المسلمين هو فريضة الزكاة ، وما زال القرآن الكريم صادعا بالامر باتيان هذه الفريضة ، وما اكثر ما جاء ذكرها فيه مقترنة بالامر باقامة الصلاة وهذا من الجلاء بمكان على ما لفريضة الزكاة من الاهمية الكبرى عند الشارع المقدس ؛ وأن لها في عالم التشريع ، المقام الأسمى ، وفي الوجود الخارجي ، الآثار الجسيمة التي لا توصف ، إنا لا نشك بأن نفس الزكاة وحدها لو اخرجها من وجبت عليهم لكان بهم الكفاية لايجاد مؤسسات خيرية كثيرة في متفرق البلاد الاسلامية ، وفي إقامة هذه المؤسسات إنعاش الشريعة ، وبها يمتنع المعدم عن التعدي على مال الغني ، كما بها يخزن الفقير لسانه عن التلفظ بكلمات السخط وعدم الرضاء بالقضاء الإلهي ، ومن كلمات النبي ﷺ في الثناء على مخرج الزكاة قوله (أسخى الناس من أدى زكاة ماله) ، وما اكثر ما نطق به القرآن الشريف ، وجاء في الأحاديث النبوية وفي أخبار الأئمة الأطهار ، من الوعيد الهائل والعقوبات الشديدة لمن منع فريضة الزكاة ، وتهاون بها غير معتن بشأنها ولا مكترث بحرمتها

إن عليا وأبنائه الهداة ، والرسول والقرآن ، كل أولاء دوافع وبواعث بالوعد والوعيد ، والتخويف والترغيب ، لذلك الإنسان الطاغي الأناني لأن يسلك في حياته الدنيوية مسلك من شكر النعمة ، وقدس السنة ، وطهر النفس من الرذيلة ؛

ونظر بعاطفته الى أولي البؤس والحاجة والمسكنة

إن النبي ﷺ ، وعليّاً ، وأبنائه الأطهار ، على وتيرة واحدة في مرحلة النظر الى هدي البشر ، والى وضع المناهج والطرق السديدة التي يقوم عليها تنظيم حياة الإنسان ، والتي يتهيأ بها للإنسان لأن يصعد بروحه الى مقاعد الصدق والكرامة

إن الرسول وعليّاً ، وعليّاً والرسول ، انما يستقيان العلم والعرفان من منبع واحد عذب زلال يتدفق بالساعات واللحظات ، و كذلك الأئمة الهداة إنما يستقون فنون العلم وضروب العرفان من ذلك المنبع المتدفق الطافح

إنه «بلا ريب» منبع فيوضات النبوة والوصاية ، فالنبوة للرسول الأعظم محمد ابن عبد الله ﷺ والوصاية للامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وللأئمة الأحد عشر من ولده صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن هذا المنبع يأتي للرسول ، ولعلي ، وللأئمة الهداة ، ذلك المدد الآلهي الحصين ، وتلك القوة القدسية الحكيمة ، في مواقف التبشير والإنذار ، كما منه يتلقون جميعا سائر أنواع العلم ، فيرسلون شطراً منها للأمة الإسلامية وللمجتمع الإنساني عامة ، نصائح وحكماً وأمثالا ، وحججا تدمغ كل حجة ، وآياتاً ساطعة يعلو بها الحق ويستبين من سناها الرشد لذي عينين

## ﴿عاطفة علي (ع) وعاطفة الرسول ﷺ منه معدن واحد﴾

إن المعدن الذي تكونت منه عاطفة الرسول ﷺ هو بعينه قد تكونت منه عاطفة الإمام علي (ع) ، و كل من علي والرسول قد حمل عاطفة تسع الخلق أجمع وتعم بنفحاتها كل ذي نفس وروح .

إن لكل ، من عاطفة الرسول وعاطفة علي ، فيضاً مركباً من عناصر اللطف الآلهي القديم

إن عاطفة الإمام علي (ع) لا تمر بنسيمها على صامت أو ناطق الا أخصب واحتي

ولا تلمس بهبوبها ، غدواً ورواحاً ، جسما الا تنفس ، وقام ينظر الى الدنيا من جديد

إن لعاطفته (ع) لمعات تتلألأ في سماء الدنيا ، وفي تخوم الأرض السفلى ، وفي كل منفذ ظاهر وباطن ، وفي القمم الراسية وبطون المنخفضات

إن لعاطفة الإمام علي نظرات تملأ الوجود والأقاليم السبع ؛ بطيبها العبق ، وجناها الرطيب الشهي ، وإحيائها لكل ميت رميم

أجل ، إن لعاطفته (ع) أوهاجاً ، تتصاعد بشعاعها الممتد الى السموات العلى ، وتنظر بألسنة من سناها المتوقد فلا ترى لها مرتعاً تسرح فيه الا الكرسي والقلم ، ولا معتلى تقف عنده الا جنة النعيم وسدرة المنتهى

وتلك أسلاك العاطفة تبدو متلألئة في شخص الإمام أبي الحسن ، وتطلع بأضوائها المتعاكسة على هذا العالم مذ أنار (ع) الوجود بمحياه الأزهر ، ومذ تبسم هذا الفضاء الواسع لمولده الكريم في البيت الحرام .

هذه هي عاطفة الإمام علي (ع) المنبعثة بروحانيتها من ذلك المعدن المتألق الذي توحد منه خلقه وخلق ابن عمه الرسول الأعظم ﷺ من قبل أن يبرأ الله تعالى الإنس والجن ؛ ومن قبل أن يقوم لله ملك أو يلمع في السماء كوكب

وأعظم بيد القدرة الإلهية ، وأجلل بها من عامل يحكم بصنعه إيجاد المعجز الروحاني من خلقه ، ذلك مذ انفردت بتكوين ذات علي والنبي من ذلك المعدن الجوهري المتأصل ، الذي تركب من صول الفضائل ، ولمع بالكمال المحض من عالم الذر

وإنا على الدوام نردد نشيداً يحمل من علا أبي الحسن اسمى المراتب ، وأطيب الذكر وأبهاه ، نردد هذا النشيد وقد غمرتنا نشوة الابتهاج حين نهتف قائلين : بورك علي والرسول من اصطفاهما الله تعالى نورين زاهرين في ساق العرش من قبل خلق السماوات والأرض .

## ﴿ علي (ع) ، يتجلى بعاطفته على جميع ما هنالك من خلق ، علوي وسفلي ﴾

يتجلى علي (ع) في أحضان هذا الكون ، وينتصب بمطلعه الوضاء أمام شمس الوجود ، ويعلو مثاله الأقدس بهاءُ الوصاية وخطرُ الخلافة بين المهاجرين والأنصار ، وينثرفوه لآلئُ الحكمة وآيات الأمثال كلما قام أو قعد ، ويسرح بفكرته العميقة فيما أنشأه الصانع الحكيم من عجائب الخلق والتكوين ، وهو (ع) في جميع هذه الأحوال يتقدم بعاطفته إلى الأقربين منه والأبعدين عنه ، وفي كل جارحة من جوارحه يتجلى ما ضمه بين حناياه من تلك العاطفة النبيلة ، وفي كل نفس من أنفاسه لا تنفك لمعات عاطفته (ع) منتشرة بذراتها الدقيقة في هذا الوجود ، وبالغة بشعاعها أقصى ما هنالك من خلق أرضي ، أو مثال علوي ، أو ذي روح قائم في بطن الصخر الأصم .

يتجلى علي (ع) بشخصيته الروحانية وهو يحمل إلى الأمة الإسلامية ، وإلى سائر الشعوب العربية ، وإلى متفرق أرباب الأديان ، جمال العاطفة على كل فرد ، وعلى من ضمه سور هذه الدنيا الرحيبة ، ويقوم (ع) بتوزيع أثمار عاطفته على كل ذي دم محترم ، وعلى كل ذي حاسة من ولد آدم .

إنا إذا نظرنا في جميع الصحابة نظر تمحيص وغربلة لم نجد فيهم من يداني علياً (ع) أو يحاذيه بالقياس إلى توزيع ما للعاطفة من ثمر ذكي على ذويها المحاويج ، وتقصر « بلا ريب » عاطفة كل صحابي نبيل من المهاجرين والأنصار عن الوصول إلى أدنى ما لعاطفة علي (ع) من القوة والظهور ، والانتشار العميم .

ولله أنت يا أمير المؤمنين من انسان جمع العلم والحلم ، والعدل واللطف ، وجمال الخَلق والخُلق ، وكرمَ الأنبياء وتقاهم ، وقداسة الرسل وسخاهم ، وحنان المؤمنين الاحرار ، وعطف المتقين الأبرار .

وتلك الإنسانية منذ تصورت في بدء الخلق ، ومنذ تركبت فيها العناصر

المختلفة ، ومنذ برزت من مخبئها في عالم الإيجاد ، فهي تقوم بما لها من عز وشرف وكمال متجسمة في هيكل الامام علي (ع) .

ويبرق في أعطاف علي سرُّ الانسانية الرفيعة ، ومجدها العربي المبين ، كما يستبين الحق ساطعاً بنوره في وضع علي (ع) ؛ وفي صمته ، وعلى أي حال كان من احواله ، هادئة كانت أم ثائرة .

وللإمام علي (ع) ، الفضل المستطيل على العرب والعجم ، والانس والجن ، وعلى الملأ الأعلى ؛ بل وعلى كل من حمل نبوة ووصاية عدا النبي محمد ﷺ فلعلي (ع) الفضل على اولئك أجمع حين يقوم (ع) ثائراً بإتحاف الانسانية وإتحاف بنيها من أبراد عاطفته ومن حلل نسيجها الذهبي الوهاج .

هذه هي سجايا علي النبيلة ، وسيرته الحكيمة ، لم تكن لتنفك عنه ولا لينفك (ع) عنها في ليله ونهاره ، في سره وإعلانه ، في حله وترحاله ، فهي مشرقة وضاءة ، لامعة براقة ، في صفحة الدهر ، ما تنفس الصبح .

**☀ يتجلى علي (ع) بعاطفته حين يحمل على كتفه للمرأة وأطفالها ☀**
**☀ التمر والدقيق والشحم والارز والخبز ☀**

كان علي (ع) أينما سار ، وأينما وقفت به رجلاه ، ينهض لتمثيل العاطفة ، وهي في جميع حالاته ، ثائرة بين ضلوعه وأحشائه ، متقدة في لبة قلبه وفؤاده ، تناديه بلحن من ألحان تكوينها الطبيعي ؛ قائلة : أنت يا ابا الحسن ذلك المثال الأسمى البهيج لتمثيل جمال العاطفة ، أنت مظهرها الزاهي البهي بما لها من ترويح للنفوس وإنعاش للأبدان .

إن كمال الإمامة وجمالها البارع بتفقد ضعفاء الأمة ، والتعرف بمن كان جليس بيته ليس لديه ما يقيم به عيشه الدنيوي

وعلى الامام أن يقف وقفة الخاشع المعتبر ، وقفة المؤثر على نفسه ، وقفة المسارع لسد الفاقة ورفع ألم الجوع ، ذلك عندما تقف به قدماه على بيت من بيوتات المسلمين يأوي نفراً من بؤسائهم ، من أرملة ويتيم يتضوران جوعا ، قد أقلقهما العدم ، وسلب من أجفانهما الكرى حتى الصباح ، وفي هذا الحال تتجلى عاطفة الامام بمظهرها الرائع ، وعلى أحسن شكل وأتمه ؛ وتبعث من نفحاتها العاطرة ما تحي به تلك الروح البئيسة ، روح الأرملة واليتيم ، روح العاجز عن الكسب ، روح من قعد به الدهر وقد كان من قبل ذا يسر

والامام الذي قد وجد هذه العاطفة على هذا الشكل من التجلي الرائع إنما هو أمير المؤمنين علي (ع) ، والبك إحدى مواقف علي الرهيبة التي تجلت عندها عاطفته بأجمل منظر ، وذلك ( كما اثبته في كتاب شرح القصيدة عن درر المطالب ) ان علياً (ع) اجتاز على امرأة مسكينة لها أطفال صغار يبكون من شدة الجوع وهي تشاغلهم وتلهيهم حتى يناموا ، فكانت أوقدت ناراً تحت قدر فيها ماء لا غير ، وأوهمتهم أن فيها طعاماً تطبخه لهم فعرف أمير المؤمنين (ع) حالها فمشى ومعه قنبر الى منزله فأخرج قوصرة تمر ، وجراب دقيق ، وشيئا من الشحم والارز والخبز ، وحمله على كتفه الشريف ، فطلب قنبر حمله فلم يفعل ، فلما وصل الى باب المرأة استأذن عليها فأذنت بالدخول فرمى شيئا من الارز في القدر ومعه شيء من الشحم فلما فرغ ونضج غرف منه للصغار وأمرهم بأكله فلما شبعوا قام عنهم وأخذ (ع) يطوف بالبيت ويبعبع لهم فأخذوا بالضحك فلما خرج (ع) قال له قنبر : يامولاي لقد رأيت منك عجباً قد علمت سبب بعضه وهو حملك للزاد طلباً للثواب ، أما طوافك على يديك ورجليك والبعبعة فما أدري سبب ذلك ، فقال (ع) : يا قنبر إني دخلت على هؤلاء الأطفال وهم يبكون من شدة الجوع فأحببت أن أخرج عنهم وهم يضحكون من الشبع .

ترى هذه النادرة الطريفة للإمام علي (ع) تلمع عما يجب أن يكون فيه أئمة المسلمين من مظهر العاطفة ولزوم انبعاثها فياضة بنعمائها على الضعفاء ، وعلى الأرملة واليتيم ، والطفل الصغير الذي قد فقد الولي والكفيل ، وعلى هذه الخطة القويمة يتمشى أئمة العدل ، وعلى ضوئها يجب بمقتضى الشرع والعقل أن يسير ذلك النفر الذي قد اشرأب بنظره الى كرسي الامارة والولاية

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك عنهم مسؤول

فكان علي (ع) بهذه اللمعة من سيرته العادلة هو القدوة الصالحة لولاة الأمة ، ولطلاب الزعامة والامرة ، ولعلماء الإسلام الذين انقادت لهم الامور ، وخضع لارادتهم قسم كبير من البشر

كان علي (ع) بهذه الشذرة الوهاجة من سيرته تلك هو القدوة المتبعة لفريق من علماء المسلمين الذين تم لهم نحو من المرجعية ؛ وعلى علماء الشيعة ( المراجع ) أن يقتدوا بامامهم أمير المؤمنين علي (ع) في أمثال تلك المشاهد التي يتجلى عندها صدق الدعوة وإخلاص النية ، وصفاء النفس ، وجمال العاطفة ، ورخص الدنيا ؛ وعدم تملكها للقلوب وتحكمها على النفوس ، فعليهم (بلا ريب) إذا أحسوا بأهل بيت بئيس ، أو علموا بأرملة ويتيم قد ألمت بهما الحاجة ، أو عرفوا أن هناك في جوارهم وبلدهم من نزل به الفقر واكتنفه وأهله العرى ، أن يقوموا سراعا لرفع ذلك البؤس ، وإزالة تلك الحاجة ، وابعاد ذلك الفقر ؛ وستر ذلك العرى ، تبعا لأئمتهم الأطهار علي وأبنائه الأبرار

وعلى الذين استنارت قلوبهم بنور الولاء لعلي وأبنائه الغر ، أن ينهجوا في مراحل هذه الدنيا نهج ساداتهم الذين افترض الله تعالى ولايتهم على جميع البشر ، وأن يقطعوا هاتيك المراحل بتمثيل العاطفة وتمثيل كل فضيلة مهما أمكن ؛ كما قطعها علي وأبنائه

الأطائب بأحب مايكون لله تعالى وللانسانية الحرة حين مثلوا فيها أسمى مراتب الفضيلة .

بل وعلى كل مسلم ، وعلى كل ذي شعور حي أن يقتبس الخير والسعادة، والعلم والنور والفضيلة من سيرة علي تلك

والأجدر الاحرى لكل امة ، ولكل شعب ، ولكل مجتمع في الشرق والغرب ولكل فرد إنساني تقله الأرض أن يستقي عز الفضيلة ، وجمال الذكر ، وحسن المنقلب من سيرة الإمام أبي الحسن ، تلك السيرة القائمة على إحياء السنة ، وإماتة البدعة ، وانارة هذا الوجود بما قد نشره على أبنائه من سحر بيانه ، وافاضه من قداسة أفعاله ، وروح به نفوسهم من ثمرات عطفه وحنانه ، ولقد اخبر (ع) عن نفسه بما كان فيه من مزيد الحنو على الضعفاء ، والعطف على الأرامل والايتام ، من كلام له يذكر فيه نزراً من فضائله بقوله : أنا الهادي ، أنا المهتدي ؛ أنا أبو اليتامى والمساكين ؛ وزوج الأرامل ، وأنا ملجأ كل ضعيف ، ومأمن كل خائف )

﴿ كذلك على (ع) يتجلى بعاطفته حين يحمل القربة عنه المرأة ﴾

﴿ وحين يلقم صبيانها بيده ويسجر لها التنور ﴾

واليك أيضاً موقفه (ع) الآخر الذي تجلت فيه عاطفته بأروع شكل، وذلك كما أثبته في كتاب « درر البحار » عن المناقب حيث قال : نظر علي (ع) إلى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها وسألها عن حالها فقالت : بعث علي ابن أبي طالب (ع) صاحبي إلى بعض الثغور فقتل وترك علي صبياناً يتامى وليس عندي شيء فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس، فانصرف (ع) وبات ليلته قلقاً فلما أصبح حمل زنبيلا فيه طعام فقال بعضهم : أعطني أحمله عنك فقال (ع) : من يحمل وزري عني يوم القيامة فأتى وقرع الباب فقالت: من هذا ، قال (ع) : أنا ذلك العبد

الذي حمل معك القربة فافتحي فان معي شيئاً للصبيان فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب فدخل (ع) فقال إني أحببت اكتساب الثواب ، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين ، وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا، فقالت : أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ، ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز ، قال : فعمدت إلى الدقيق فعجنته ، وعمد علي (ع) إلى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره ، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له : يابني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك ؛ فلما اختمر العجين قالت ياعبد الله اسجر التنور فبادر (ع) لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول : ذق يا علي ، هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى ، فرأته امرأة تعرفه فقالت : ويحك هذا أمير المؤمنين، قال فبادرت المرأة وهي تقول : واحيائي منك يا أمير المؤمنين ، فقال (ع) بل واحيائي منك يا امة الله فيما قصرت في أمرك .

فهذه يا حبيبي سيرة أئمة العدل ؛ المبنية على هذا الطراز الباهر من الاعتناء بأرامل المسلمين ويتاماهم، وخدمتهم بأتم ما يكون من خدمة الرجل لحليلته ، والأب الشفوق العطوف لأبنائه ، إن الله تعالى يكبر هذا العمل الجليل من علي (ع) يكبر ترويحه لنفس تلك الأرملة البئيسة ، يكبر إدخاله السرور على صبيانها الذين فاز والدهم بالشهادة بين يدي الامام أبي الحسن ، كذلك عقلاء البشر ، وحملة العلم ، وأرباب الحكمة والفضيلة ، يكبرون جميعاً ذلك العمل الجليل الذي أفاضته روحانية علي (ع) على تلك المرأة الكئيبة وعلى صبيانها القصر ، فعلي (ع) بهذا العمل النبيل منه يعطي ولاة الأمر ومن بأيديهم زمام الحكم منهجاً خاصاً يلزمهم السير على ضوئه ؛ ويفرض عليهم تفقد مثل هذا الصنف من البشر والقيام بشؤونه على كل حال .

تأمل ونفكر في نقاط أربع من ذلك العمل الرائع الذي قام به الإمام أمير

المؤمنين (ع) تأمل في حمله بنفسه القربة عن المرأة ، ثم في حمله الزنبيل مملوءاً طعاماً للصبيان، ثم في قيامه بشخصه الشريف بعملية الطبخ وإلقامه بيده الصبيان منه ، ثم في توليه بذاته سجر التنور و كيف كان قوله عندما لفح وهج النار وجهه الكريم .

إنك ترى عليا (ع) يقوم بهذه الأعمال الجسيمة بنفسه، بكل شوق، وبتمام التوجه والإقبال، وعن إخلاص عديم المثيل، ابتغاء مرضات الله تعالى وأخذاً بواجب ما تفرضه الولاية على الناس ، وجرياً على قانون الفضيلة ، المثبت منذ إيجادها في عالم الإنشاء .

أجل إن القيام بتلك الأعمال من وظائف من وجبت ولايته على الانس والجن وعلى كل ملك ورسول ، وإذا قلنا بأن ولاية علي (ع) لازمة في أعناق البشر ، وفي ذمة رسل الله وملائكته، وأنه أولى الناس بالناس، وأن المتقدم عليه هالك ، والمنحرف عنه فإلى سقر ، كان ذلك منا قولا حقاً لا امتراء فيه لمن كانت له أذنان .

وتلك ياذا الشعور الحي عاطفة الإمام علي (ع) تتجلى بسناها الوهاج وشذاها الفياح ، في ذلك الموقف المهيب فإنها تنبيك عن كماله المتناهي ، تنبيك عما هو (ع) فيه من اسمى مراتب التواضع ، إن التواضع يزيد صاحبه في المجتمع رفعة ، ومن الله تعالى قرباً ، ويغرس له في النفوس الود والمحبة ، كذلك فالإمام علي (ع) بكماله النفساني ، زين المجتمع الإنساني ، وله بين صفوفه وفي قلبه أجل الرتب وأسماها ، كما لا يرتاب ذوو الادراك والتمييز بأن علياً (ع) أقرب الخلق من عرب وعجم ، وإنس وجن ، ورسول وملك ، إلى الله تعالى بعد الرسول الأعظم ﷺ إن كل خلق روحاني ، إن كل ذي نبوة ووصاية فهو متأخر بقربه من الله تبارك وتقدس عن الامام علي (ع) سوى ذي النبوة الزاهرة سيد الرسل أجمع محمد بن عبدالله ﷺ ، ثم أعد النظر فأي نفس تحلت بموهبة العقل لا تود علياً ولا تحبه بإخلاص، أو لا تواليه مدة العمر ، إن مثل الإمام علي (ع) يحتل بعلمه وعرفانه حتى النفوس ، ويملك بمكارم

أخلاقه ومحاسن سجاياه حتى القلوب ، إن مثل هذا الإمام الأقدس يجعل الألسن ، لامحالة ـ لاهجة بذكره العاطر إلى الابد ؛ ولم ، لأنه (ع) مثال العلم والعمل ، مثال الفضيلة بكل مالها من سر دقيق ، مثال العاطفة بكل مالها من نبل خطير وأثر جسيم ، مثال قداسة كل متأله حكيم ؛ مثال بهاء كل روحاني في الأرض والسماء .

## ﴿ علي (ع) مثال الاصلاح والتواضع ﴾

كذلك كان الامام أمير المؤمنين (ع) بعاطفته النبيلة مثال الإصلاح والتواضع لقد تجلى (ع) بهذه المثالية في موارد كثيرة ، واليك في المقام حديثا طريفا يلمع عن تجلي هذه المثالية في شخصه المبارك ، أثبته في كتاب ( درر البحار ) عن الإمام الباقر (ع) قال : إن عليا (ع) رجع الى داره في وقت القيظ فاذا امرأة قائمة تقول : إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني ؛ فقال (ع) : ياأمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك ان شاء الله ، فقالت : يشتد غضبه وحرده علي ، فطأطأ (ع) رأسه ثم رفعه وهو يقول : لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع ، أين منزلك فمضى (ع) الى بابه فوقف ، فقال: السلام عليكم فخرج شاب فقال علي (ع) ياعبد الله ، اتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها ، فقال الفتى : وما أنت وذاك ، والله لأحرقنها لكلامك ، فقال امير المؤمنين (ع) آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر ، وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف ، قال (ع) فأقبل الناس من الطرق ويقولون : سلام عليكم ياأمير المؤمنين ، فسقط الرجل في يديه فقال : ياأمير المؤمنين أقلني عثرتي فو الله لأكونن لها أرضا تطأني ، فأغمد (ع) سيفه وقال : يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك الى مثل هذا وشبهه

يلمع هذا الحديث عما لعلي (ع) من خلق كريم ، وعما تكون في جوهر خلقه من ذات تمت لها الطهارة من كل دنس ، كما يلمع وضاء عما يحمله علي (ع) بين جنبيه

من نفس تم لها النبل والسمو الروحي

كذلك يعطيك هذا الحديث عما كان فيه الإمام أمير المؤمنين (ع) من الشدة في ذات الله تعالى ، والإهتمام باصلاح ذات البين ، ورفع ماهنـــالك من سخائم ، ان علياً (ع) يرفع بلطيف كلامه وجميل بيانه تلك السخائم ، وترجع القلوب الى الود والصفاء بيمن طلعته الغراء ويأتلف الخصمان ليس بينهما حقد أو ضغينة بفضل ما يدلي به من عظة ونصيحة وإرشاد

إنك تقرأ هذا الحديث أو يتلوه أمامك آخر فتكبر إلحاح تلك المرأة على الامام علي (ع) حين تطلب منه بأن يذهب معها الى منزلها في حر الظهيرة لغاية الإصلاح أجل لأنها تعلم بأن نفسية علي (ع) إنما هي نفسية إمام معصوم مفترض الطاعة ، فهي على علم بأن نفس أمير المؤمنين مجبولة على العفو والحلم والإحسان ؛ ومفطومة على التواضع وعلى تمثيل كل حسن جميل

تطلب منه ذلك بإلحاح ولاترضى منه التأخير بوجه لأنها تعلم بأنه (ع) يسعها بحلمه ، وبكرم أخلاقه ، وبنبل عاطفته ، وبجمال روحانيته

وما أجل واكبر كلام علي (ع) معها بلطف ولين ، ورقة ورحمة ، حين يقول لها ، وقد ألحت عليه بذلك الطلب ، «لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع» يعني لا أصبر حتى يبرد النهار بل أذهب معك حتى يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع ، لقد استراحت تلك المرأة لهذا الكلام النبيل ، وبرد ما كانت تجده في قلبها من غليل ، إن هذا الكلام منه (ع) يلمع عن جوهر العدل ، ويشرق عما يجب أن يقوم به من ولي قوماً أو رعية من تمثيل فضيلة العدالة

لقد علم الإمام (ع) بفراسة الإيمان أو بتجلي الإلهام أن تلك المرأة مظلومة وأن بعلها ظالم لها بلا ريب ، فذهب معها ونور الإمامة يتلألأ أمامـــه ويتقد بلمعاته في

شوارع الكوفة ، وبهاء الوصاية قد جلله ذاهباً وآيبا

إنما يأنس أئمة الحق بالاصلاح ، وإقامة العدل ، والأخذ بأيدي الناس الى حيث تفوز الأرواح وتسعد النفوس

لقد مثل علي (ع) بمسيره ذاك فضيلتين هما من أنفس الفضائل ، فضيلة التواضع « فتواضعوا يرفعكم الله»

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... الى طبقات الجو وهو وضيع

وفضيلة الإصلاح « إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام »

وتحمل (ع) في مسيره ذاك لفحات الحر في ذهابه وإيابه ؛ وهي عنده أعذب من نسيم الصبا ، حيث يعلم بأنه انما يؤدي في ذلك الحال ماتفرضه عليه الأبوة الروحانية اللامعة من قول النبي ﷺ «أنا وأنت ياعلي أبوا هذه الأمة » فان هذه الأبوة تفرض على الإمام علي (ع) الاعتناء بشئون البشر والمحافظة على حقوقهم الشخصية ؛ والنظر فيما يعود عليهم بالنفع والخير والصلاح دنيا وآخرة

إن ذلك العمل الفضيل من الإمام علي (ع) إنما هو إحدى الخطط الحكيمة التي رسمتها فاكرة علي لولاة المسلمين ، وعلى هؤلاء الولاة أن يسيروا على شعاع هذه الخطة النبيلة في أمثال تلك المواطن ؛ ليتمثل العدل ، ويتحقق الإصلاح ، ويصل كل ذي حق الى حقه ، ولتبرأ عندئذ ذمة الولاة من عهد الولاية المأخوذ عليهم منذ تربعوا على كرسيها آمنين ، فان الله تعالى قد أخذ عليهم ، كما قد اخذت عليهم الفضيلة ؛ والانسانية أيضا ، أن يقوموا عند استلام كرسي الولاية بالنصيحة للمسلمين ، والعطف ، وتمثيل العدل ، وتحمل العناء في سبيل الإصلاح وإظهار الحق لأهله ، واذا قام الولاة بهذا فقد برئت ذمتهم من عهد الولاية ، وفازوا بسمو المقام في جنان النعيم ، وبالذكر العاطر

الجميل في الأرض والسماء

لقد كان علي (ع) بعمله ذاك رمز الفضيلة ، رمز الأخلاق الكريمة ، رمز الإخلاص وصفاء النفس وطهارة الضمير ، رمز الجمال الطبيعي في جميع الأعمال

إن ذلك الحديث إنما هو نموذج لسائر الموارد التي مثل علي (ع) عندها جمال عاطفته ، وكان فيها مثال التواضع والإصلاح

## ﴿ علي (ع) مثال العدل والتواضع ﴾

كذلك كان الإمام أمير المؤمنين (ع) بخلقه النبيل مثال العدل والتواضع ، تتجلى فيه هذه المثاليه بأروع شكل في حديث له (ع) مع بعض اليهود، لقد أثبت هذا الحديث في كتاب «درر البحار» عن أبي اسحاق السبيعي قال: دخلت المسجد الأعظم بالكوفة فإذا انا بشيخ أبيض الرأس واللحية لا أعرفه ، مستنداً إلى اسطوانة وهو يبكي ودموعه تسيل على خديه فقلت له : مايبكيك فقال له : أنت عليّ نيف ومائة سنة ولم أر فيها عدلاً ولا حقاً ولا علماً ظاهراً إلا ساعتين من ليل وساعتين من نهار وأنا ابكي لذلك ، فقلت : وما تلك الساعة والليلة واليوم الذي رايت فيه العدل، قال : إني رجل من اليهود وكان لي ضيعة بناحية سوراء وكان لنا جار في الضيعة من أهل الكوفة يقال له الحارث الأعور الهمداني وكان رجلا مصاب العين وكان لي صديقاً وخليطاً ، وإني دخلت الكوفة يوما من الأيام ومعي طعام على أحمرة لي أريد بيعها بالكوفة فبينما أنا أسوق الأحمرة وقد سرت في مسبخة الكوفة وذلك بعد عشاء الآخرة فتفقدت حميري فكأن الأرض ابتلعتها أو السماء تناولتها، أو كأن الجن اختطفتها ، وطلبتها يميناً وشمالاً فلم أجدها فأتيت منزل الحارث الهمداني من ساعتي أشكو اليه ما أصابني وأخبرته بالخبر فقال : انطلق بنا إلى أمير المؤمنين (ع) حتى نخبره فانطلقنا اليه فأخبره الخبر فقال أمير المؤمنين (ع) للحارث :انصرف إلى منزلك وخلني واليهودي فأنا ضامن لحميره وطعامه

حتى أردها له فمضي الحارث إلى منزله وأخذ أمير المؤمنين (ع) بيدي حتى أتيت الموضع الذي افتقدت فيه حميري وطعامي فحوّل (ع) وجهه عني وحرك شفتيه ولسانه بكلام لم أفهمه ثم رفع رأسه فسمعته يقول : والله ما على هذا بايعتموني يامعشر الجن وأيم الله لأن لم تردوا على اليهودي حميره وطعامه لانقضن عهدكم ولأجاهدنكم في الله حق جهاده ، قال : فو الله ما فرغ أمير المؤمنين (ع) من كلامه حتى رأيت حميري وطعامي بين يدي ، ثم قال أمير المؤمنين (ع) : اختر يايهودي إحدى خصلتين ، إما أن تسوق حميرك وأحثها عليك أو أسوقها أنا وتحثها علي أنت ، قال قلت بل أسوقها وأنا قوي على حثها ، وتقدم أنت يا أمير المؤمنين أمامها إلى الرحبة فقال (ع) : يايهودي إن عليك بقية من الليل فاحفظ حميرك حتى تصبح ، وحُط أنت عنها أو أحط أنا عنها وتحفظ أنت ، فقلت : ياأمير المؤمنين أنا قوي على حطها وأنت على حفظها حتى يطلع الفجر فقال أمير المؤمنين (ع) خلني واياها ونم أنت حتى يطلع الفجر فلما طلع الفجر انتبهت فقال (ع) : قم قد طلع الفجر فاحفظ حميرك وليس عليك بأس ولا تغفل عنها حتى أعود عليك إن شاء الله تعالى ، ثم انطلق أمير المؤمنين (ع) فصلى بالناس الصبح فلما طلعت الشمس أتاني وقال افتح بركك على بركة الله تعالى وسعر طعامك ففعلت ، ثم قال (ع) اختر مني خصلة من خصلتين ، أما أن ابيع انا وتستوفي أنت الثمن أوتبيع أنت واستوفي أنا لك الثمن فقلت : بل أبيع أنا وتستوفي أنت الثمن ، فقال (ع) : افعل فلما فرغت من بيعي دفع إلي الثمن ، وقال لي : لك حاجة فقلت : نعم أريد أدخل السوق في شراء حوايج قال (ع) : فانطلق حتى اعينك فإنك ذمي فلم يزل معي حتى فرغت من حوايجي ثم ودعني فقلت عند الفراغ : اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله وأشهد انك عالم هذه الامة وخليفة رسول الله على الجن والانس فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء ثم انطلقت الى ضيعتي

فأقمت بها شهوراً ونحو ذلك فاشتقت الى رؤيته فقدمت وسألت عنه فقيل: قد قتل أمير المؤمنين (ع) فاسترجعت وصليت عليه صلاة كثيرة وقلت عند فراغي: ذهب العلم، وكان أول عدل رأيته منه تلك الليلة وآخر عدل رأيته منه في ذلك اليوم، فما لا أبكي، وكان هذا من دلائله (عليه السلام).

إنك بلا ريب تكبر ما اشار اليه هذا الحديث من تلك الأوضاع الفاضلة التي كانت من الامام علي (ع) مع ذلك الذمي المستبصر، أجل ان الواقف على نفسية علي (ع)، والخبير بوضعه الاجتماعي، والعليم بسمو مكانته من الدين والفضيلة ليرى بأنه (ع) أهل لأن تصدر منه تلك الأوضاع الكريمة، التي يتمثل في طيها جمال العدل الاسلامي، ومحاسن أخلاق النبي محمد ﷺ ان تلك الأوضاع تلمع عن حقيقة راهنة، وهي ان ملكات الفضائل قد ارتسمت نيرة في نفس علي، وفي كل حاسة من حواسه، أوضاع بهيجة يقوم بها علي (ع) مع ذلك الذمي هي من مزايا الأنبياء، ومن غر سجاياهم الحميدة، التي قد اتحفوا بنعيمها البشر.

ان تلك الأوضاع الفاضلة من علي (ع) مع ذلك الذمي المهتدي انما هي فيض تلك النفس الطاهرة الزكية التي قد اشرقت وضاءة بين جوانح أمير المؤمنين؛ والتي قد استنارت بتلألؤها السارية في مجرى دمائه وعروقه.

إن وضع الامامة، إن وضع الخلافة والوصاية، كوضع النبوة والرسالة؛ مبني على تمثيل الفضائل النفسية لا مع المسلمين فقط بل حتى مع الذميين الذين خضعوا لناموس الشريعة الإسلامية الغراء

إن الامامة منذ أن التصقت بذات علي (ع) فهي مثار العاطفة بكل ما للعاطفة من أثر جسيم وثمر طيب، ومثار المحافظة على حقوق المسلمين، الشخصية والنوعية، وعلى من سواهم ممن رضخ لاداء الجزية عن يدوهم صاغرون، بل وعلى غير هذين

الصنفين ممن كان فيه رجاء الإعتناق للدين الإسلامي الحنيف « إن الدين عند الله الاسلام » لذا ترى الامام علياً (ع) قد علت بـه نفسه القدسية ؛ وأثارت من معدنها المتألق ما طبعت عليه من مكارم الأخـلاق السامية مع ذلك الرجل الذمي ، إنك ترى ما كان لذلك الوضع الكمالي الرفيع من علي مع هذا الذمي الموفق

أجل فقد كان له ذلك الأثر النفيس الباهر ، هو الاعتناق «اعتناق هذا الذمي» لدين الاسلام والاعتصام بحبل الله المتين علي أمير المؤمنين

إن هذا الحديث يرينا الغريب الرائع من جمال أخلاق علي (ع) ، يرينا البديع المحكم من غر سجاياه النبيلة ، يرينا محض الكمال لذاته ، تلك الذات المفطومة على حب الخير والتقى والسداد ، ويعطينا صورة من نور يتمثل فيها شرف التواضع ونفاسة العـدل

إن العدل فريضة لازمة على كل من تقلد منصبا رفيعا من مناصب الدولة ، أو تقلد إمرة ذات شـأن خطير ، كما أن التواضع سنة من مهام السنن القويمة التي يحسن بكل ذي جاه ورئاسة واعتبار أن يدثر ببهائها مع كبير الناس وصغيرهم

إن الاسـلام ، بقرآنه ، وبنبيه ، وبامامه ، يحث البشر أجمع على إقـامة العدل والتحلي بزينة التواضع ، إن العدل والتواضع فضيلتان يجب على قادة الأمة وذوي زعامتها أن يحرصوا عليهما قبل كل أحد ، وأن يقطفوا من ثمراتهما اليانعة ما يجلب لهم طيبَ الذكر ، وحسن الصيت ، وجمال السمعة

إنك ترى الامام علياً (ع) يتجلى في مرحلة التمثيل للفضيلة كما تتجلى الشمس الطالعة بأنوارها الساطعة في قبة السماء ، وتلمع في أعضاء علي وجوارحه فضيلتا العدل والتواضع ، ذلك حين يقوم (ع) بتلك الصحبة الوجيزة مع ذلك الرجل الذمي ، ساعتين من ليل وساعتين من نهار

إن لعلي (ع) ميزة عمن سواه من أرباب الكمال النفساني والتأله الروحاني ، لقد سادهم وثبتت له هذه الميزة في مرحلة التمثيل للفضيلة ؛ فانه يمثلها بقوله وفعله ؛ وبفعله قبل قوله ، ومن وقف على سير علي (ع) في هذه المرحلة فإنه يرى فيه من مزايا تمحضت بالحسن ما لم ير في غيره من عالم عامل ، أو ولي ذي بر وورع ، أو ملك عادل أو خليفة ظهر عليه الدين والصلاح

أنظر إلى وضع الامام علي (ع) مع ذلك الذمي ، فترى في هذا الوضع ذلك الكمال المتناهي من التواضع والعدل ، كما ترى فيه نفساً بلغت من المعرفة والتأله والوصول إلى سر الفضيلة ما لم يكن لاحد قبل علي ولن يكون لأي إنسان بعده

تأمل في هذا الحديث فترى الامام عليا (ع) يرسم لليهودي بكلامه معه لزوم العدل والتواضع على كل ذي رآسة ، أ كان ذلك في ديوان الدولة ذات السلطة والنفوذ أم كان في الشعب والامة والمجتمع ؛ فضلا عمن وثب على منصب الخلافة فتسنم اعلاه وتربع على عرشه

فيرسم (ع) له ذلك بقوله : اختر يا يهودي إحدى خصلتين إما أن تسوق حميرك وأحثها عليك ، أو أسوقها أنا وتحثها علي أنت

وبقوله : وحط أنت عنها أو أحط أنا عنها وتحفظ أنت

وبقوله : خلني وإياها ونم أنت حتى يطلع الفجر

وبقوله : اختر مني خصلة من خصلتين إما أن أبيع أنا وتستوفي أنت الثمن ، أو تبيع أنت وأستوفي أنا لك الثمن

وبقوله حين أراد اليهودي دخول السوق لشراء حوائج : فانطلق حتى اعينك فإنك ذمي

ان هذه الفقرات الخمس من كلام الامام علي (ع) تنبئ عن جمال العدل والتواضع

وعن حسنها السائد في مرحلة التمثيل للفضيلة ، كما ننبئ عما لهاتين الفضيلتين من سمو هذا الحسن والجمال اذا قام بهما أرباب المعنوية والنفوذ ، ولا يشك بأن طلب تمثيل فضيلتي العدل والتواضع من هذه الطبقة أشد منه بالقياس الى غيرها ممن لم يكن له معنوية أو نفوذ ، أما بالنسبة الى الخليفة فإن طلب العدل والتواضع منه أشد كثيراً بالقياس الى كل ذي امرة ومعنوية ونفوذ ؛ حيث ان الخليفة انما يمثل في جميع أحواله ، محض الفضيلة ، وانما يرسل في كل حركة عضوية قام بها ، جوهر الفضيلة اللامع في كل عصر والى آخر الزمن

ان لكل تكليف واجب أو ندب ؛ يقوم بأدائه الامام ، لمحة بهاء ووقار ، ولمعة وضاءة من لمعات خطر الامامة ، ولعلنا نجزم بل نجزم بأن لكل من هذه اللمعة وتلك اللمحة صلاحية الاستقلال بالدعاية الى الدين ، لكن اذا قام بأداء ذلك التكليف مثل الامام علي بن ابي طالب (ع)

ان ذلك الحديث « حديث علي مع اليهودي » بكل ما فيه من قول وفعل صادرين منه (ع) يرينا نمطا خاصاً من سيره الجميل في الامة والرعية ، ويبرز لنا من عالم التمثيل « القولي والفعلي » نوعاً متألقاً من حسان خصاله الغر ، التي قد استنار بجمالها الافق حين تجلى ببهائها شخصه الكريم في ذلك المشهد

ان ذا اللب والشعور ، ان ذا الفكرة السليمة ، ان ذا الايمان الصحيح ، لا يختلجه شك بهذه الحقائق المقتطفة من ذلك الحديث بل يقف عندها وقفة اذعان وتصديق ، وقفة الخاضع لجلال علي (ع) ، والمسلم بكل منقبة حميدة تعزى الى قداسة ذاته

انا لا نرتاب بأن الامام امير المؤمنين (ع) مجمع الفضائل ، وعلى فيضه الروحي ترتكز اصول ملكاتها الحكيمة ، والى ذاته الزكية ترجع مدحات السنة والقرآن ، ومن عقله المتوقد عرف الناس شرف النبل ، والخلق الفذ الكريم ؛ والحلم والتؤدة

والروية ، وحسن الادارة والتدبير ، في الكلية والجزئية ، كما من فيه (ع) ومن بين ثناياه تدفقت الفصاحة والبلاغة ، ومن مقوله الذرب أخذ البشر أسلوب الكلام البديع ، وعلى سجعه البليغ ، المفعم بالحكم والامثال والعظات والعبر ، اعتمد ارباب المنابر ، والخطباء النابغون ، والادباء المبرزون ، والى تعاليمه (ع) وارشاداته يرجع من ضل الطريق واراد الاهتداء الى سواء السبيل

اننا بلاريب ممن يؤمن بهذا كله في الامام علي (ع) نعم لم يبق في ذلك الحديث « حديث علي مع اليهودي » سوى نقطة واحدة ، وهي انك قد ترى في ذلك الحديث ما لا يحتمله عقلك أو ما تعده بعيداً عن الوجود الخارجي ، ذلك من تحرك شفتيه (ع) ولسانه بكلام ما فهم منه ذلك الذمي شيئاً ، ثم خطابه (ع) لطائفة الجن بقوله: «والله ما على هذا بايعتموني يامعشر الجن وايم الله لئن لم تردوا على اليهودي حميره وطعامه لأنقضن عهدكم ولأجاهدنكم في الله حق جهاده » وتحسب أن هذا من الامام علي (ع) في عداد الغرائب التي ليس لها تحقق محسوس الا في عالم الذهن والخيال

لا ، لا ، اعيذك بالله من هذا الخطور ، انه من حديث النفس الأمارة بالسوء ، ومن وساوس الشيطان بلاريب

ان الامام عليا (ع) انما يتجلى في هذه المرحلة مع اليهودي بما كان للنبي ﷺ ان يتجلى به في امثالها فيأتي (ع) عندئذ بالآية التي بها يستبين عند الجاهل انه وصي الرسول وخليفته ، كما يتضح بها لدى من لا يعرف الدين الاسلامي انه دين الله القويم فكان علي (ع) اذاً في هذه المرحلة انما يمثل مرتبة الاوصياء ، ومنزلة خلفاء الانبياء ، من اظهار الآية والكرامة ؛ واراءة الطرف المقابل لغريب المعجز ؛ الذي لايكون الا من نبي او وصي نبي ، عند الضرورة والاقتضاء

ان عليا (ع) حذا في هذه المرحلة مع اليهودي حذو نوح وآدم ، حذو ابراهيم

ويوسف ، حذو موسى الكليم والسيد المسيح ، حذو الرسول محمد ﷺ

لقد برز الإمام أبو الحسن مع اليهودي في تلك المرحلة على طراز ما كان يبرز به روح الله المسيح ، وابن عمران الكليم ، من إظهار الآية والبرهان

يرى اليهودي علياً (ع) وقد لمع في مطلعه بهاء الامامة ، وسطع من جبينه نور الخلافة ، ثم يراه وقد ناجى منشئ الكائنات تبارك وتقدس على نهج ما كان لابن عمران من المناجاة على طور سيناء ، ثم يصوب اليهودي نظره مرة أخرى إلى محيا علي (ع) وإذا به يراه وهو يهتف بسكان الفضاء وآهلي طبقات الارض ويأمرهم بعدم نقض البيعة ، وبالامتثال لأمره المفترض على كل ذي روح وجارحة .

يقوم علي (ع) باظهار الآية عند اقتضاء الحال لذلك ، من تثبيت اليقين ، أو الارجاع إلى الحق والهدى بعد الجهل والجحود ، أو عند إلقاء مزيد الحجة بعد معرفة الحقيقة ، ولقد مثل (ع) في تلك المرحلة مع اليهودي ، الامر الثاني من هذه الثلاثة

ان عند الامام علي من أسرار علم الغيب ومكنونه ، واسم الله الأعظم ما عند الرسول ﷺ

ولدى علي (ع) من معرفة لغات البشر ، والإحاطة بلغات ملائكة السماء ، والوقوف على لغات طير الجو ووحش الفلا مالدى النبي بلا ريب

إن لأمير المؤمنين علي (ع) في بعض الأحايين مناجاة خاصة مع الجليل سبحانه بلهجة ، وحروف ، ولغة ، لا يفهم السامع منها شيئاً ؛ ان هذا الشكل من المناجاة لا يكون لكل إنسان عرف الله تعالى وقدسه بل إنما هو من مزايا الاوصياء ومن اختصاصياتهم التي لا يشاركهم فيها البشر مهما بلغ البشر من العلم والعرفان والتأله والقداسة

ان علياً (ع) امام الانس والجن ، وبيعته لازمة على هذين الثقلين بلا ريب

علي حبه جنه امام الانس والجنه
وصي المصطفى حقاً قسيم النار والجنه [1]

أما حرب علي (ع) للجن في عهد الرسول ﷺ فهو أمر لا يشك فيه من سبر التاريخ وخبره [2]

## ﴿ يشبه ذلك الحديث حديث آخر له (ع) مع بعض اليهود أيضا ﴾

ويشبه ذلك الحديث « حديث علي مع اليهودي » حديث آخر له (ع) مع بعض اليهود أيضاً ، لقد أثبت هذا الحديث في كتاب « مدينة المعاجز » عن ثاقب المناقب عن رزين الاغاطي عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه ان أمير المؤمنين صلوات الله عليه دخل الكوفة فأقام بها أياماً فبينا هو يدور في طرقها فإذا هو بيهودي قد وضع يده على رأسه وهو يقول : معاشر الناس أفبحكم الجاهلية تحكمون ، وبه تأخذون وطريقا لا تحفظون ، فدعابه أمير المؤمنين (ع) فوقف بين يديه فقال : ماحالك يا أخا اليهود : فقال : يا أمير المؤمنين إني رجل تاجر خرجت من ساباط المداين ومعي ستون حماراً فلما حضرت موضع كذا أخذ ما كان معي اختطافاً ولا أدري أين ذهب بها فقال امير المؤمنين (ع) لن يذهب منك شيء ، ياقنبر ، اسرج لي دابتي فأسرج له فرسه فلما ركبه قال: ياقنبر ويا أصبغ بن نباتة خذا بيد اليهودي وانطلقا به أمامي ، فانطلقا به حتى صار الى الموضع الذي ذكره فخط أمير المؤمنين (ع) بسوطه خطة فقال لهم قوموا وسط الخطة ولا تجاوزوها فتخطفكم الجن ثم قنع (ع) فرسه واقتحم في الصحراء وقال

---

(١) للامام الشافعي

(٢) وسنوافيك إن شاء الله تعالى في عدد خاص من الأجزاء الآتية من هذا الكتاب بما يرجع الى بيان هذه النقطة ، مع الإشارة الى ان علياً (ع) كان معتمد الرسول الى الجن في تعليمهم أحكام الدين ، والجن موجود في عصر الامام (ع) وفيما بعده بلا ريب كما سيأتي الإلماع اليه إن شاء الله تعالى

معاشر ولد الجن من ولد الحارث بن اسيد وهو إبليس إن لم تردوا عليه حمره ليخلص مابيننا وبينكم من العهد والميثاق ولأضربنكم بأسيافنا حتى تنيبوا الى أمر الله ،فإذا بقعقعة اللجم وصهيل الخيل ، الطاعة الطاعة لله ولرسوله ولوصيه ،ثم تجرد في الصحراء ستون حماراً بأحمالها لم يذهب منها شيء فأداها الى اليهودي فلما دخل الكوفة قال له اليهودي : ما اسم محمد ابن عمك في التوراة ، وما اسمك فيها ، وما اسم ولديك ،فقال أمير المؤمنين (ع) اسم محمد ﷺ فيها طاب طاب واسمي ابليا ، واسم ولدي شبر وشبير ، فقال اليهودي : أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنك وصيه من بعده ، وان ما جاء به وجئت به حق

إن هذا الحديث كالحديث السالف يتمثل به ظهور الآية عن يد الإمام علي(ع) كما يلمع بجلاء كالشمس عن كمال اعتنائه بإيجاد العدل ؛ والمحافظة على الحقوق؛و على الأخص لمن دخل تحت راية الإسلام وخضع لمراسيمه العادلة

إن أمير المؤمنين (ع) يرى في دينه ، وفي مبدئه ؛ وفي عدله ؛ أن لا تذهب حبة من خردل في أرض أو في سماء لأي إنسان كان ، ذلك عند رجوع الأمر اليه إذ يرى (ع) نفسه عليما بطرق السموات والارض ، وأن طوع إرادته ملائكة السماء ومن تحت أطباق الثرى

إن لعلي (ع) تلك السلطة النافذة على الجن بلا ريب ؛ كما هي ثابتة له على الإنس وكما أن الإنس يرتكب الجرائم فكذلك الجن يرتكبها ؛ وفي الجن ؛ الناصبي والموالي ، والفاسق والعادل ، والمسلم، والمنافق ، فهم طوائف وفرق وفي المذاهب والأديان والعقيدة كالإنس ، وحيث ان في استطاعة الإمام علي (ع) إخضاع الجن لامره ، لتلك السلطة التي له عليهم ، كان عليه ، أداء لعهد الخلافة المأخوذ على خلفاء الأنبياء ، إرجاع مايختطفه الجن من الإنس عند الرجوع اليه (ع) في الكشف عن

جلية ذلك الشيء المختطف

إن هذه المنزلة لعلي (ع) يدركها ويحكم له بها بلا توقف وارتياب من علم خطر الامامة ، من علم بأنه (ع) وصي الرسول وخليفته ، يحكم له (ع) بها من تبصر في الدين ، من أراد الحق الصريح ، من طلب الخير والسعادة ، من حلت في قلبه الهداية ، من رجا رضى الرحمن والفوز بنعيم الجنان .

تلك منزلة سامية لأمير المؤمنين (ع) هي من خصائصه ، ومن الرتب الخطيرة التي جعلها الله تعالى في سابق علمه المخزون للامام أبي الحسن ، يحكم له (ع) بها من غربل الحديث وصفاه ، من أمعن النظر في أحوال الصحابة ، من جال بفكره جولة التمحيص لمن فاق المهاجرين والأنصار بالرأي والعلم والبر والتقى ، وسادهم بكل فضيلة ومنقبة ، وكانوا بالقياس اليه كالحصى والجنادل بالقياس الى شهب الكواكب .

إنما يحكم بسلطة الإمام علي (ع) على طائفة الجن وخضوعهم لأمره النافذ ، من ركنت نفسه الى الايمان الصحيح ، من رمى بالعصبية وراء ظهره ولم يدن بدين الجاهلية لا سراً ولا جهراً ، من داس الأنانية ، وتجرد من حب الذات ، ومشى بفكره وعقله الى حيث تكون الحقيقة والعلم الصافي الغزير

أجل إنما يحكم بهذه السلطة لعلي (ع) من استنار قلبه بالولاء الحيدري ، من علم بأن عقد الولاية لعلي على الانس والجن مفروض في السماء على أهل السماء قبل أن يفرض في الأرض على أهل الأرض وعلى كل ذي روح

إن هذه السلطة للامام علي (ع) يراها جلية كالشمس كل من علم بأن منزلته منزلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سوى النبوة والرسالة

## ﴿ المرأة الكنانية تحدث معاوية بما كان فيه علي (ع) من العدل ﴾
## ﴿ في الرعية ، والقسم بالسوية ، والمحافظة على اموال المسلمين ﴾

تمر الليالي والايام ، وتسري المقادير بتصرفها المحتوم ، ويطلع نجم ويأفل آخر ، فهذا يأفل بخيره وشره ، وذاك يطلع بسعده ونحسه ، وهكذا ينتصر قوم ، ويربح قوم ؛ ويفوز البعض بلذيذ العاجل ، والآخر بلذيذ الآجل ، وقل من يفوز بهما معاً

وعلى هذا الطراز من الطلوع والافول ، وعلى ذلك الشكل من دوران الدهر وسير المقادير يهلك الله تعالى ملوكا ويستخلف آخرين ، ويذهب بأناس إلى مقطنهم النهائي ويأتي بقوم صالحين يحبهم ويحبونه ، يمثلون في الأرض مكارم الأخلاق ، وعدل الشريعة الغراء ، ويقيمون أود المجتمع ، ويصلحون ما اختل منه وفسد

تنشئ يد الحكيم هذا الكون بما فيه من مختلف الطبقات ، ومتشتتي الآراء والاديان ، ويبدو اقليم هذا الوجود ، ويقوم على اشكال واطوار من الخلق والايجاد ، والجواهر والاعراض ، والحسن المقبول ، والقبيح المرفوض ، والثراء والعدم ، والخير والشؤم ، والسمو إلى مراقي العز ؛ والانحطاط إلى حيث تشمئز النفوس وتكره .

وهكذا الدهر ذو أحداث وغير ، يأتيك مره قبل حلوه ، وغثه قبل سمينه ، وننظر فيه إلى ما لم يكن بحسبان ولم يخطر بفكر الناقد البصير

تنظر إلى صفحة هذا الوجود فترى فيه من عجائب تكوينه ، وغرائب ما ارتسم فيه ، ما يرجعك الى الوراء ، ويدعك في حيرة وارتياك ، وإلى أي لوحة من لوحاته نظرت فانك تبصر فيه الحق والباطل ، جندان يصطرعان ، وقوتان تتغالبان ، قد أمدهما المبدع الحكيم بأنصار واعضاد ، وأحكم أمرهما بكامل العدة والعدد

لكن الحق يعلو بحجته وبرهانه ، ويرجع الباطل مكسور الجناح ، خاسئاً ذليلا بجنده واعوانه ، ويسعد أئمة الحق ، حيث الفوز الابدي ، بنعيم لا يفنى ، وسرور

لا يبيد ، كما يؤوب أئمة الباطل بخيبة المآل ؛ وشقاء المنقلب ، إلى حيث تهوي نفوس الأشرار ، ويقطن الظالمون ، أما الظالمون فكانوا لجهنم حطبا

ولأئمة الحق جميل الذكر العاطر المخلد ، كما لأئمة الباطل قبيح الذكر ، وخزيه المؤبد . ولدولة الحق أبداً تلألؤ يملأ أرجاء البسيطة ، وعزة تملأ النفوس هيبة وجلالا كما لدولة الباطل ظلمة تتفاقم ، واسوداد يتصاعد فيملأ هذا الفضاء وأطراف الارض ذلة ومهانة .

وعلى هذا المنوال يتصرف الكون بأهليه ، ويتقلب بما فيه ، وعلى ذلك الحال من التلون والتغير تنقضي ساعاته وثوانيه ، ولا يزال الحق متلألأ فيه بأنواره ساطعاً بآيه وبيانه ، متدليا بثمره الطيب ما جرى الليل والنهار ، أما الباطل فمهما علا بزخرفه ومهما أراد أربابه تحسينه للعيون ، وتقريبه من العقول بما هنالك من دجل وتمويه فلا بد له بعد ذلك من الانهيار ، والانكشاف عما قام عليه من زور وبهتان ، وإثم وعدوان

وأصول الحق محكمة مكينة ؛ وأساسه أثبت من الراسيات ، وفروعه تبشر براحة لن تبور ؛ أما الباطل فأصوله واهية متداعية ، وأساسه أضعف من بيت العنكبوت ، وفروعه تبشر بعناء الابد ، وما أساس الباطل وأصوله إلا المكر والخديعة ، والاغراء والتدليس ، والكذب والنفاق ، وبث النميمة ، وعدم التحاشي من كل رذيلة

وللحق عند العرض على ميزان العدل ، كمال التفوق والسيادة على الباطل بكل ما هنالك من حسن وجمال ، وعقبى صالحة ، وثناء أضوع من شذى الند والعنبر

فما أجمل الحق إذاً وأجله ، وما أسمى شأنه عند أولي الألباب ، أما الباطل فلا تكاد نفس اللبيب تهواه ، ولا يرتضيه الحكيم لشخصه شعاراً ، ولا سلاحاً يعتمد عليه في نيل رغباته وأمانيه ، ولا ولي الالباب رفعة لا تبارى منذ صاحبو الحق

واتخذوه لأنفسهم خلا وخدينا إلى آخر العمر ، كما أن للأشقياء الكالحين ضعة غير محدودة منذ ركنوا إلى زخرف الباطل المموه المهين

حنانيك يا ذا اللب والشعور ، فأمامك هذا الوجود ، وفي عضوك الرئيسي مرآتان صقيلتان ينعكس فيهما القريب والبعيد عند المقابلة والمشاهدة ، قد سواهما المنشئ الحكيم بأحسن شكل وأبهى منظر ، وجهزهما بجهاز محكم لاترى فيه من فتور ليس لهاتين المرآتين وظيفة سوى إثبات ما في هذا الوجود من رسوم الاضداد والاغيار والهيئات المتناقضة ، وأشكال ائتلف بعضها مع بعض

انك تنظر في هذا الوجود فترى فيه ما تحير به العقول ، ذلك حين ترى جياد المنون تجري مسرعة بما فيها من أقدار ، حين تراها تمضي حاملة لرجال العلم والفضيلة مرتفعة بأخف من البرق بمن كانوا مثال العدل والعطف والإحسان ، آخذة لهم برفق إلى مراتع الارواح السعيدة ، كما ترى أناساً آخرين ، شمخوا بآنافهم عتواً و كبرا ؛ قد سودوا وجه التاريخ بما جنوا على الدين والعلم والفضيلة من مساو وقبائح ، وسيئات وجرائم ، لقد بقي هؤلاء الاشقياء بعد رحيل أولئك الافذاذ ليسرحوا ويمرحوا ، ويلعبوا بالشرع والدين كيفما شاؤوا ، وليعيدوا بجهودهم مبدأهم الجاهلي الاولي

أجل لقد رحل مثال العدل والعطف والاحسان أبو الحسن ، وبقي بعده مثال الجور والقسوة والعدوان معاوية

تمضي المنون بالإمام علي (ع) ولكن بعد أن أنار الوجود بغزير علمه الطافح ، بعد أن عطره بغر سجاياه النبيلة ، بكرم أخلاقه الفاضله ، بجمال عدله وعطفه وحنانه ، وتزف ملائكة السماء روح علي (ع) إلى الملكوت الاعلى حيث تخلد أرواح الانبياء والرسل وحيث تنعم هنالك روح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

يرتفع الإمام أبو الحسن إلى هذا المقر الاسمى ولكن بعد أن ألبس الوجود حلة

تتألق ما طلعت شمس النهار ، بعد أن خلع عليه من ابراد عاطفته ، بعد أن أودع فيه من سر العدل والزهد والورع ، ماتر كه به زاهياً مرحاً

ويصعد أمير المؤمنين بروحه وجسمه إلى عالم مزدهر بأرواح المتألهين والصلحاء متلألأ بما احكمته فيه يد القدرة الإلهية من مختلف التكوين الباهر المستنير

ترحل يا أبا الحسن من هذه الدار ، ويأبى الله تعالى لك إلا نشر فضائلك بعدك في مجلس أخصامك الالداء معاوية بن أبي سفيان ، ذلك ، حين يستدعي بامرأة من بني كنانة ، كانت اشتهرت بالبغض له ، فلما مثلت بين يديه قال لها : أتدرين لِم استحضرتك ، قالت : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال : أريد أن أسألك ، علام واليت عليّاً وعاديتني ، قالت: ألا تعفيني من ذلك ، قال : لا ، فقالت : إن كان لا بد فإني أحببت علياً على عدله في الرعية ،وقسمه بالسوية ، وعنايته بالمساكين ، وإعظامه لأمر الدين ... وعاديتك على قتالك من هو أولى بالولاية منك ، وطلبك ماليس لك بحق وسفكك الدماء ، وجورك في القضاء . فقال : وهل رأيت علياً ، قالت: لقد كنت رأيته ، فقال : و كيف رأيته ، قالت : رأيته لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، فقال : وهل سمعت كلامه ، قالت : نعم والله كان يجلو الهم عن القلوب كما يجلو الزيت الصدأ عن الحديد ، فقال : وهل لك من حاجة، قالت: أوتفعل إذا سألتك ، قال: نعم ، فقالت تعطيني ماءة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . فقال : وماذا تصنعين بها ، قالت : بألبانها أغذي الصغار وأستحي الكبار . فقال : وهل أحل عندك محل علي إن أعطيتك ذلك قالت : ماء ولا كصدّاء ، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك [1] ، فكظم معاوية غيظه وأمر بطلبتها وأنشد

---

(١) هذه امثال ثلاثة تضرب لاثبات الجودة لشيئين وتفضيل الثاني على الأول فيها ، وصداء عين من أفضل مياه العرب والسعدان نبت من افضل اقوات الابل ومالك اسم رجل من اشهر الاجواد

إذا لم يكن مثلي حليما عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم [1]
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

وأردف البيتين بقوله : أما والله لو كان علي لما اعطاك منها شيئاً ، فقالت: والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ... ثم انصرفت وفي قلب معاوية ما فيه [2]

تقدم هذه المرأة بدافع الولاء لعلي (ع) فتنثر من غر فضائله أمام معاوية مايزهو به الكون ، ويفتخر به كل مسلم صادق الإسلام ، هذا ومعاوية خاضع بسمعه وسائر جوارحه لما تنثره عليه تلك المرأة الكنانية من لآلئ الفضائل في الإمام أبي الحسن، وهكذا إذا أراد الله تعالى إظهار فضل اوليائه ، ونشر مآثرهم بعدهم ، ضرب على ايدي اعدائهم ، واخضع الآناف منهم والاسماع واعتراهم الذهول كأن على رؤوسهم الطير

لقد ذكرت تلك المرأة في عداد هاتيك الفضائل فضيلة العدل وصدرتها بالذكر فجعلتها في مفتتح كلامها ذاك النبيل ، هذا مما يدل على أن للعدل ميزة كبرى من بين الفضائل التي يجب على الولاة القيام بها حال الحكم والولاية ... ان ميزة العدل عن بقية الفضائل بالنسبة إلى الحكام والولاة جهة يدركها كل من نظر في لائحة الفضائل ودقق في سجلاتها المنظمة بالقياس الى هذه الطبقة من البشر ، وأمامك تلك المرأة فقد ادركت بحسن فطنتها وجودة فكرتها تلك الميزة ، حين جعلت في كلامها صدر تلك الفضائل فضيلة العدل ، ويكشف لك أيضاً عن نبلها تلاوتها لذلك الحديث أمام معاوية بكامل التأني والروية وبدون تلكؤ وتلعثم ، مع ماهو فيه معاوية من عز الامرة وهيبة الملك والسلطان ، وكأنما كان معاوية أمامها كرجل عادي ،

---

(١) ان ذلك من معاوية تحلم لا حلم ، والحلم هو الفضيلة لا التحلم

(٢) ذكر هذه النادرة في الجزء الثالث من بحر الآداب تحت عنوان « وهل احل عندك عمل علي» ورأيتها مثبتة في العقد الفريد مع اختلاف بسيط

وبالحقيقة قد رأته كذلك ولم يخطر بفكرها ما لمعاوية من ذلك العز وتلك الهيبة ، ان كلا من عز الامرة وهيبة الملك يسيطر على من يقف بين يدي الملوك ويلبسه جلبابا من الارتباك ، أما تلك المرأة الكنانية فلم يسيطر عليها شيء منهما حين مثلت بين يدي معاوية وحين شرعت في تعداد طرف من فضائل الإمام علي (ع) أمام ابن أبي سفيان وما كانت ترى معاوية في هذا الحال إلا رجلا من عامة الناس ومن سوقتها المتجولين بل انعكس الامر في هذا الحال فكان العز والهيبة لذلك الطرف المنثور من فضائل أمير المؤمنين (ع) على سمع معاوية ، وأنا على يقين بأن معاوية كان يجد في نفسه هيبة لهذه الفضائل ، كان يرى في بدنه هزة وارتعاشا حين تليت عليه ، كذلك ينظر الله إلى أوليائه الابرار ، ويمنحهم من فضله العميم ذكرى الخلود الطيبة ، ونعرف أيضا نبل تلك المرأة الكنانية من جوابيها الآخرين لمعاوية ، أولا ، حين قال لها : وهل أحل عندك محل علي إن أعطيتك ذلك » فأتت إليه في الجواب بتلك الأمثال الثلاثة «ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك » هذا مما يكشف عن جمال فطنتها وسرعة استحضارها للأجوبة الشافية المسكتة ، وثانياً ، حين قال لها : « أما والله لو كان علي لما أعطاك منها شيئا » فزفت اليه في الجواب قولها البديع : « والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين » ، لقد أجادت تمام الاجادة في هذا الجواب وإنما أتت بعين الحقيقة ، و كشفت عن المحجة البيضاء اللامعة التي كان يسير عليها امير المؤمنين علي (ع) وعلى الاخص أيام استيلائه على زمام الحكم بعد مضي المشايخ الثلاثة ، وترى على هذا الجواب لمعة وضاءة من جمال البلاغة البارع ، كما ترى عليه صبغة توهج من وجوه الفصاحة ؛ وإذا اعطيت النظر بالجملة حقه في قوله « أما والله لو كان الخ » ، وفي جوابها « والله ولا وبرة واحدة الخ » لرأيت بينهما تمام المطابقة ، ولعلمت بأنه لا يصلح لقوله ذاك إلا هذا الجواب ، ولو أردنا أن ننحت من جوهر

الفكر الصحيح جوابا لقول معاوية المذكور لما قدرنا أن نأتي بأحسن من هذا الجواب الذي نحتته تلك المرأة الكنانية من معدن فكرها السليم ، وترى أيضا في جوابها هذا نكتة لطيفة هي من نكات البلاغة في البيان ، وهي المطابقة بين قوله ذاك وجوابها هذا بالقسم بلفظ الجلالة ، هذا مما يدل أيضا على حسن بديهة تلك المرأة

ثم أعد النظر في جوابها هذا « والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين » فإنه يعطيك سمو مكانة الإمام علي (ع) من ناحية الورع عن أموال المسلمين، والمحافظة منه حتى على الوبرة الواحدة منها ، ان هذا أمر لازم في ذمة من يستولي على سلطان الحكم ويتسنم عرش الخلافة بلا تحرج ، إنه أمر لازم في ذمة كل مسلم لكنه في ذمة الولاة والحكام أشد طلبا ولزوما عند كل لحظة ينظر فيها الوالي إلى بيت مال المسلمين وإلى ما يؤتى به اليه من ضروب الخراج وأصناف الغنائم ، كما يعطيك هذا الجواب ما كان فيه معاوية من التصرف بأموال المسلمين كيف شاء وأنى شاء بدون تقيد بقانون الشرع الإسلامي ؛ إن التصرف بها على هذا الشكل إنما هو طريقة من يغتصب الخلافة ، وديدن من لا يبالي بالشرع والدين كمعاوية واضرابه ، إنا عرفنا هذا الوضع فيه وفي اشباهه من درس تاريخ حياتهم ، وذاك تاريخ معاوية الأسود ينادي بما كان فيه من الظلم والجور والاستبداد ، والانتهاك للحرمات ، والاباحة لاهراق دماء الصلحاء والأولياء ، انما يبعثه إلى هذا مبدأه الجاهلي الذي ما زال كمينا في قلبه ومتغلغلا في نفسه الى آخر لحظة من حياته

ولقد ظهر لدينا ان قولها « والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين » ظهر أن قولها هذا في أسمى مراتب المدح للإمام علي (ع) من تلك الناحية النبيلة ناحية الزهد والورع وما أشبه كلمتها هذه بكلام الإمام (ع) في إحدى خطبه حين يقول: والله لو أعطيت الاقاليم السبع بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلت

وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ؛ مالعلي ونعيم يفنى ولذة لاتبقى) هذا وأيم الحق هو الزهد والورع ، لا ما كان فيه معاوية من التصرف بأموال المسلمين حسب أطماعه وأهوائه

إن الجود المعدود من الفضائل إنما هو في بذل الإنسان لماله الخاص الذي يملكه ملكا شرعياً صحيحا ، وخصوصا اذا وصل هذا البذل الى درجة الإيثار فإن فضيلة الكرم عندئذ تكون اكمل وأنبل وأشد نفاسة كما كان هذا الشكل من البذل للإمام أمير المؤمنين (ع)[1] أما بذل الإنسان لمال غيره وخصوصاً اذا كان بإفراط فلاريب بأن هذا البذل رذيلة لافضيلة بل هو من أخس الرذائل ، ومرتكبه لدى نظرة الحق موبخ مذموم ؛ وفي تلك الكلمة النبيلة « والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين» إلماع صريح الى هذه الجهة ، ويتضاعف قبح بذل الإنسان لمال غيره بغير رضاً منه اذا كان الباذل ممن تربع على عرش الخلافة غاصباً لها ، ناسباً نفسه الى أنه من أهلها ، وهو بريء منها ... عجباً لخليفة المسلمين مثل معاوية كيف يلعب بأموال المسلمين حسب رغباته وشهواته ، وطبق مصالحه الشخصية ، وأبيك إن خلافة قرد على طائفة من القرود أشرف من خلافة معاوية على المسلمين

ثم أعد النظر في ذلك الحديث « حديث المرأة الكنانية » فتراها تشير بكلامها الى فضل الإمام علي (ع) من نواحي ثلاث

« أولاً » ما كان فيه من السيرة الحكيمة في مجتمع المسلمين ، وإنما يتمشى على هذه السيرة إمام الحق ، واذا أمعنت الفكرة فيما تقوم عليه السيرة الحكيمة لرأيتها إنما تقوم على أمور أربع ، على العدل في الرعية ، والقسم بالسوية ؛ والعناية بالمساكين ؛

---

(١) سيأتي ان شاء الله تعالى في جزء خاص من أجزاء هذا الكتاب فصل مستقل في كرم الامام علي (ع) ، وتعداد المشاهد التي تجلى (ع) فيها بفضيلة الكرم والإيثار

والإعظام لأمر الدين ... أما الامام أمير المؤمنين (ع) فلقد تمشى على هـذه السيرة إن سيرته كانت قائمة على هذه الأمور الأربع ، ولقد مثلها الى آخر لحظـة من أنفاسه بأتم ما قام به نبي أو رسول ، أما معاوية بن ابي سفيـان فإنما كانت سيرته قائمة على أضداد هذه الأمور الأربع ، على قتاله من هو أولى بالولاية منه ، وعلى طلبه ما ليس له بحق ، وعلى سفكه الدماء ، وعلى جوره في القضاء ولدى التحليل الفني الحكمي فانك ترى هذه الأمور الأربع التي قامت عليها سيرة معاوية ، تراهـا منشئاً لكل باطل ، وأساساً لكل ظلم واعتداء ، ومثاراً لكل دنية ورذيلة . إن ذا الانصاف وذا الايمان الصادق يحب الامام عليا (ع) ويوده لسيرته تلك الحكيمة ، ويبغض معاوية ويعاديه ويشنأه لسيرته تلك الجائرة ، لذا تلك المرأة الكنـانيه قد أحبت عليا (ع) ووالته لسيرته الحكيمة ، وأبغضت معاوية وعادته لسيرته الجـائرة ، تراها قد صارحت معاوية بهذا البغض والعداء له ، كما قد كاشفته عن ذلك الحب والولاء لعلي (ع) حين خاطبته قائلة « فاني أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وعنـايته بالمساكين ، وإعظامه لأمر الدين ، وعاديتك على قتالك من هو أولى بالولاية منك ، وطلبك ما ليس لك بحق ، وسفكك الدماء ، وجورك في القضاء » ؛ صارحته بهذا ولم تأبه بسلطانه ولا بما هو فيه من رهبة الاستبداد

« ثانيا » ما كان (ع) فيه من الحال النفساني بالقياس الى تجرده من الانهماك بلذائذ النعمة ، وعدم فتنته بالملك . إن الملك عامل كبير لافتتان صاحبه به ، كما أن توفر النعمة من أقوى الدوافع لارتكاب القبائح ؛ وللاعراض عما يرضي الله تعالى ، لقد أشارت الى هذه الناحية بقولها « رأيته لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك » نعم لقد افتتن معاوية بالملك فصده عن تمثيل الحق وإقامـة العدل ، وأخذ بيده إلى إحياء الباطل ، وتعطيل حدود الله سبحانه ، كما قد شغلته النعمة عن القيـام

بطاعة الله تعالى ، فكان معاوية بما هو فيه من الملك والنعمة أعمى عن الهدى وعن القرآن والسنة ( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى )

«ثالثا» ما كان لكلامه (ع) من جمال الأثر في النفوس ، وحسن الصقل لما يعتري القلوب من هموم وأتراح ، وذاك أمام عينيك نموذج زاهر من لآلي كلامه البديع ، فأمامك « نهج البلاغة » قرآن الكلام ، ونبع الحكمة والفلسفة والبيان والآية الكبرى في إعجاز أسراره ومعانيه ؛ إنك ترى نهج البلاغة منتشرا في أقطار المعمورة ، وجليس كل كاتب وأديب ، وأنيس علماء الشرق والغرب ، ومستقى كل خطيب ماهر ، تراه مزدهراً بضروب الأمثال ، مفعما بفنون العلم ، محكما بمتانة الاسلوب والصياغة ... لقد أشارت تلك المرأة الكنانية الى هذه الناحية النبيلة بقولها « نعم والله كان (كلامه) يجلو الهم عن القلوب كما يجلو الزيت الصدأ عن الحديد» أما كلمتها الأخيرة في مختتم حديثها مع معاوية ( والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين) فإنها تشير الى طرف من الناحية الأولى ، وعن مثل هذا الحال تنصرف تلك المرأة الكنانية من عند معاوية

أجل فإنها تنصرف من عنده بعد أن أثارت مجلسه ، ودمشق ، وديار الشامات بنشر هاتيك الفضائل اللامعة في الإمام علي (ع) تنصرف من عنده وتتركه وراءها في غيظ وكمد

## ﴿ سورة ابنة الأشتر الرحمانية تحدث معاوية ﴾
## ﴿ بما كان فيه علي (ع) من القيام بالعدل ﴾

لا يزال فضل الإمام أمير المؤمنين (ع) متلألأ بنوره كلما طلع كوكب وغاب آخر ، منتشراً بشعاعه الوهاج في أفق السماء كلما صفق الطير بجناحيه ، مخترقاً بطيبه الفياح مهامه البيد الشاسعة وأعالي الجبال الشامخة ، بالغاً بسناه المتألق أقصي الأقاليم

نافذاً بإشراقه في موجات البحار ، وفي طبقات السموات العلى ، وفي قرارة كل نفس كذلك إن فضل علي (ع) مازال متألقا في مجلس معاوية بن ابي سفيان ، هذا وإن معاوية قد بذل جليل الأموال ، ونشر دعايات السوء في أقطار الشامات ليبلغ مأربه من تشويه اسم الإمام أبي الحسن ، وإطفاء نوره ، ولكن ياترى ، ما كان بعد هذا أجل ، فلقد أبى نور علي (ع) إلا أن يزداد تلألؤاً وإشراقا ، وأبى اسمه الزكي إلا أن يمتد بعبيره العبق الى أقصى الأقاليم ، وأبى جماله الذاتي الا أن يدخل عرفه المتضوع في شامة كل ابن انثى ، وأبى كرم أخلاقه ، وطهارة ذاته ، وجليل خدماته وحسن بلائه في الإسلام ، ومبيته بنفسه على الفراش ، لقدأبت هذه المزايا الغر للامام علي (ع) إلا أن تذيع ذكره العاطر في كل نادٍ ومحفل ، وأبى لعلي عدله إلا أن يسجل له ذكرى الإكبار والإعجاب وسمو المكانة عند كل امرء وقف على سيرته الحكيمة ، وتلك سودة ابنة عمارة بن الأشتر الهمدانية تذكر جمال عدل الإمام أمير المؤمنين (ع) أمام معاوية فتكبره وترجع الى نفسها بالتألم والتحسر على فراقه ، تدلي هذه المرأة الحرة على معاوية بذلك ، وتعطيه نموذجاً صالحاً من سير علي في الرعية وتبثه وجدها في كل حين عند مايلم بفاكرتها ماكان فيه أبو الحسن من جمال العدل

وفدت سودة هذه على معاوية فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت عليه فقال لها : كيف أنت ياابنة الأشتر ، قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، قال لها : أنت القائلة لأخيك

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي «محمد» ... علم الهدى ومنارة الايمان
فقدِ الجيوش وسر أمام لوائه ... قدما بأبيض صارم وسنان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي ، قال : ( هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي ) ، قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء .

وإن صخراً لتأتم الهداة به  كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل ياأمير المؤمنين اعفائي مما استعفيته ، قال : قد فعلتُ ، فقولي حاجتكِ ، قالت : يا أمير المؤمنين إنك للناس سيد ، ولامورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسطه بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس[1] البقر ، ويسومنا الخسيسة[2] ويسألنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة[3] قدم بلادي ؛ وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك ، فقال معاويه : إياي تهددين بقومك ، والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس[4] فينفذ حكمه فيك ، فسكتت ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنها  قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً  فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذلك ، قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ، قال : ما أرى عليك منه أثراً ، قالت : بلى ، أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه الغث والسمين ، فوجدته قائماً يصلي فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطف ، ألك حاجة ، فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم آمرهم

---

(١) في مجمع البحرين داس الشيء برجله يدوسه دياسة  (٢) يسوم يريد ومنه قوله تعالى « يسومونكم سوء العذاب » يريدونه ويطلبونه منكم  (٣) هو الطاغية بسر بن أرطأة وله حديث مشهور مع ولدي عبيد الله بن عباس وقتله لهما  (٤) القتب بالتحريك رحل البعير صغير على قدر السنام والشرس هو السيء الخلق ومكان شرس أي غليظ .

بظلم خلقك ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ) إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام . . . فعزله يا أمير المؤمنين ، ما خزمه بخزام، ولا ختمه بختام . فقال معاويه : اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها ، فقالت : ألي خاصة أم لقومي عامة ، قال : وما أنت وغيرك ، قالت : هي والله إذاً الفحشاء واللؤم، إن كان عدلا شاملا ، وإلا يسعني مايسع قومي، قال : هيهات، لطلكم ابن ابي طالب، الجرأة، وغركم قوله .

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

اكتبوا لها بحاجتها انتهى

ترى على كلام معاوية صبغة من الظلم والعسف والجور، وما زال معاوية يكشف بكثير من أطوار بيانه في أمثال هذه المواقف عما كمن بين ضلوعه من الادران الجاهلية والاحقاد الاموية ، ان عداء معاوية للامام علي (ع) لا يدعه الا أن يثير ما هنالك من عواطف ذوي الايمان الصحيح والمنتصرين للفضيلة ، ترى هذا لائحا في كلامه لسودة حين يقول لها من باب التأنيب «أنت القائلة لأخيك شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة الخ» .

وفي كلامه الآخر (هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي) ، كانت سودة قد أنشدت تلك الأبيات في معركة القتال تحريضا لأخيها على قتال معاوية كما كانت تلك الأبيات في الوقت ذاته تزيد في عزيمة أصحاب علي (ع) وتهيج من حماسهم مايندفعون به إلى الموت الأحمر ، وتري سودة بأبياتها تلك جند علي وأنصاره أن الحق والسعادة في جانب الامام أبي الحسن ، وأن النار والباطل في جانب معاوية .

إن تذكير معاوية لسودة بتلك الأبيات قد أهاج عاطفتها، وأثار إيمانها الصادق، واستفز أعصابها الحية ، ولكن ماذا تصنع سودة وهي لاتملك شيئا من القوة التي يمكن أن تقابل بها معاوية ، ولا هنالك أيضا ما تعتمد عليه من العدة والعدد لتنتقم به منه .

تنفست سودة الصعداء . ومدتها زفرة طويلة حرنة وأسى عندما ذكرها معاوية باسم إمامها أمير المؤمنين (ع) وحدثت نفسها قائلة لها بهمس ( هل تعود الحرب بيننا وبينك يا معاوية فترى عندئذ صولة أبطال الحق ، وفتك فرساننا الأحرار بك وبجندك أهل الشامات ، إن هذا مني حلم يامعاوية بلا ريب ) ، رأت سودة أن السكوت لها أحرى ، غير أنها أشارت الى معاوية تطلب منه الكف عن ذكر ما مضى ، بقولها ( مات الرأس ( تعني به عليا ) وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي ) ، لكن لؤم معاوية لم يدعه إلا أن يعيد ذكر مامضى بإشارة من قوله (هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي ) ، يتشفى معاوية بهذا الكلام وشبهه ، وملؤ جوانحه الغيظ والحنق ، يرى معاوية من نفسه عدم الوفاء لمبدئه الجاهلي ( اللات والعزى ) حين لم يظفر بعلي وصحبه يوم صفين ، وكلما مر عليه خاطرة هذا اليوم الرهيب تذكر ما حل به وبجنده من القتل الذريع ، والرعب الهائل ، والأخطار المروعة ؛ من بأس علي وأنصاره (أنصار الحق والفضيلة ) ، يتألم معاوية ، وتضيق بعينه الدنيا ، ويجر أنفاساً من نار ، عندما كان يذكر (ومازال يذكر) حملات مالك الأشتر ، وصموده بين يدي إمام الحق ؛ يوم صفين ، مازال معاوية يذكر تفاني مالك في هذا اليوم ، ذلك التفاني الذي قد صور الموت عيانا لمعاوية ، وذلك حين رأى معاوية مالكا قد أشرف على احتلال سرادقه ، وكم كان لمعاوية من زفرة تتصاعد كلما تذكر ذلك المقام الهائل لمالك حين كاد مالك أن يصل الى سرادق معاوية (مأوى الأبالسة والشياطين) ، كان معاوية يتوقع في كل لحظة أن يقع في حبال مالك ، يتوقع أن يتناوله مالك من سرادقه المشوم

بخاطفة من سنانه ويسوقه أمامه أسيراً سوق البهائم ؛ لم يكن لدى معاوية بعد يوم صفين و كلما ذكر ما كان فيه من أهوال وشدائد إلا أن يتشفى بمثل قوله لسودة (ليس مثل مقام اخيك نسي ) ، وياليت معاوية قد ثبت في ذلك اليوم لسيف الحق والدين ولجيش الإيمان والفضيلة ، ليته ماهم بالفرار ، ولا حدث نفسه به ؛ ليته ماوضع رجله في ركاب فرسه مصمما على الهزيمة حين رأى الإمام علياً (ع) قد أشرف على الإنتصار والغلبة ، لقد أيقن معاوية في هذا الحال بالهلاك وإلا فالفرار لعل فيه منجاة له لولا مكيدة ابن العاص ، ليت معاوية لم يأمر ، إذ ذاك ، برفع المصاحف حيلة ومكرا ، ليته لم يأمر برفع المصحف الكبير ( مصحف الإمام ) على أربعة رماح إغراء وتمويها قد برئ القرآن من معاوية ، كما قد برئ معاوية من القرآن ، إن للقرآن أهلا يعرفهم ويعرفونه ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، إن القرآن لا يعرف غير علي نصيراً للدين وعضيداً للإسلام ، كما ان علياً (ع) لايعرف غير القرآن صاحباً له وأنيسا ، إنما حارب علي معاوية على تأويل القرآن ، كما قد حارب علي ( أبا سفيان ) من قبل على تنزيله .

إن معاوية خرج عن الطاعة وخالف الجماعة ، وأثار الفتنة ، وأحدث الفرقة بين الأمة ، إن معاوية لو لم يأمر برفع المصاحف لكانت الأمة بعد ذلك قد سلمت من الفرقة والخلاف ؛ وذلك لأن علياً (ع) كان يأخذ معاوية عندئذ وأصحابه أخذ عزيز مقتدر

ويا لها من غصص قد شرق بها معاوية يوم صفين حين شاهد دنو مالك من سرادقه ؛ ويا لها من آلام كان معاوية يزدرد بوقعها في كل حين كلما ذكر هذا الحادث الجسيم

لم تملك سودة نفسها عندما أهاجها معاوية بقوله ( هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي ) لم تملك نفسها إلا أن رمته بسهم من كلامها المسدد إذ قالت له : ما كان اخي

خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء

« وإن صخرا لتأتم الهداة به الخ »

إن سودة منيعة بايمانها حين استحكم ولاء علي (ع) بين حناياها ، حين جرى هذا الولاء منها مجرى الدم في العروق ، ولم يرُعها قول معاوية ( والله لقد هممت أن اردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك ) ، لقد صور لها كلامه هذا ، استبداده الأعمى ، وظلمه المتناهي ، وجوره المتفاقم ، وذكرها سيرة علي الحكيمة ، وما كان (ع) فيه من جمال العدل وقوة العاطفة ، فسكتت سودة إذ ذاك ، وملأ قلبها جوى وكمدا ثم أرسلت زفراتها متتابعة ؛ وهي في هذا الحال القصير تحدث نفسها بما ابتلي به الاسلام والمسلمون من ولاية رجل مستبد ظلوم كمعاوية ، أجل أخذت تحدث نفسها كيف قد أصبح معاوية يتحكم في الأنفس والأموال والأعراض باستعاره الأموي الغاشم كما قد أخذت سودة في هذه الخاطرة تتحدث همسا عن عدل علي وعطفه وحنانه ، تمر على خاطرتها هذه ؛ ثوان قلائل ، ثم ترفع رأسها الى معاوية غير عابئة بما قابلها به من ذلك التهديد الجائر ، ذاكرة له عدل الامام علي (ع) حين أنشدته قولها

صلى الإله على روح تضمنها الخ

إن سودة تجيد البيان ، وترسل الكلام عن روية وعقل وبصيرة ، لقد أحسنت سودة الى الدين والفضيلة حين مثلت لامع الحقيقة بهذا الطراز من إنشادها الحكيم

إن سودة قايست بين الرذيلة والفضيلة عندما شاهدت ظلم معاوية ، وتهديده ذاك الجائر ، فرأت لزاما عليها أن تكشف القناع عن ذلك الرجل الفذ ، الذي قد مثل جوهر العدل ، وأبانت لمعاوية عنه بتلك المصارحة من شعرها النبيل ، وأعلمته بأن عليا (ع) كان مثال العدل ، وحليف الحق ؛ وقرين الإيمان الصحيح الى أن حل في جوار الله سبحانه

لقد أعلمته بإنشادها ذاك أن عليا (ع) كان مثال هذه الفضائل الثلاث ، كما قد زفت اليه من منطقها العذب نبذة تاريخيـة نبيلة من سيرة علي الحكيمة مع ولاته في الجهات والأقطار ، ذلـك حين وفدت سودة على الإمـام امير المؤمنين (ع) فوجدته قائما بين يدي ربه تبارك وتعالى ؛ يناجيه ويقدسه بذلك المنهج الخاص من مناهج العبادة ؛ هو منهج الصلاة ، التي كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ، وحين قال (ع) لها برأفة وتعطف ، بعد أن أنفتل من الصلاة ( ألك حاجة ) ، لقد فسح (ع) لها المجال في الكلام بقوله ( ألك حاجة ) ؛ وأحست سودة من قوله هذا ببرد ملأ فؤادها الحار ، أحست بروح أنعش منها الجوارح ، وأبهج نفسها الأليمة ؛ لقد عرفت سودة حين قال لها علي (ع) ( الك حاجة ) بأن إمير المؤمنين يريد منها تفصيل ما أنت لأجله ، يريد منها أن لا تكتمه ما يتغلغل في نفسها من حديث ، خاص أو عام ، كانت سودة من قول الإمام (ع) لها ( ألك حاجة ) بأتم ارتياح ، وأيقنت عندئذ بالفرج القريب ، وما كانت سودة لتتأخر أو تتوانى في هذا الحال عن بيان ماوفدت لأجله بل أرسلت لسانها الطلق و كاشفت الإمام (ع) أمر ذلك الوالي على صدقاتهم ، وشرحت له بلائحة من نثرها المسبوك سوء معاملته لهم ؛ وحيفه في الحكم عليهم

لقد تلقى الإمام (ع) حديث سودة هذا بملء سمعه ، وما كان من الإمام يأترى في هذا الحال ؟ أجل لقد أثر حديث سودة المذكور في نفس علي (ع) إذ أنه أب الأمة وصاحب الرقة والشفقة عليهم ، إن أمير المؤمنين (ع) يهمه أمر المسلمين بلا ريب ... إن نفس الحر ، إن نفس الأبي الكريم ، إن نفس طـاهر الذات والمنبت ؛ إن نفساً كنفس الإمام أبي الحسن (ع) ليسرع اليها التأثر من مثل حديث سودة المذكور ، ذلك الحديث المسيء ، الذي ترك الإمام (ع) في قلق أو يعزل ذلك الوالي عن عمله

لقد تأثرت جدا نفس الإمام أمير المؤمنين (ع) من حديث سودة حين شكت

اليه حال ذلك الوالي على صدقاتهم؛ وآثار هذا التأثر النفساني منبع دمعه الرقيق من بين مآقيه

أجل، إن سودة بيناهي تبث شكواها الى الإمام علي (ع) من ذلك الوالي واذا بها ترى علياً قد تنفس الصعداء، وارسل عينيه بالدموع، تلك الدموع الغالية الثمينة دموع تنحدر كاللآلي على محياه الزاهر، وعلى لحيته الكريمة، ذلك تألماً منه (ع) على ماتراه الأمة الإسلامية من كدر العيش، وحيف في الحكم، وجور في القضاء

حسن منك هذا البكاء ياأمير المؤمنين عندما يطرق سمعك مثل حديث سودة المذكور، إن بريق الدمع يا أبا الحسن من بين الأجفان في مثل المقام لمن علائم الرأفة والحنان والعاطفة على أمة أخيك وابن عمك محمد ﷺ

لم يكتف الإمام (ع) بهذا المظهر الرائع من مظاهر عاطفته النبيلة؛ بل رفع ابتهاله الى ربه سبحانه، مادّاً يديه قائلا: (أللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك) حاشاك ثم حاشاك يا أمير المؤمنين فإنك إنما أمرت ولاتك بإقامة العدل، وتمثيل الحق وعلى هذا الجوهر اللامع تم تكوينك وانتظم وجودك، وعلى جنا الفضيلة كان غذائك يا أبا الحسن من لدن أن كفلك الرسول ﷺ ورباك وتعهد تعليمك .. وما أجمل ابتهالك هذا يا أخ الرسول حين ترفع يديك الى السماء فتناجي منشي الكون جل وعلا بقولك (أللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك)، مناجاة يبعث بها قلبك المكلوم، ونفسك الجريحة ومناجاة يتمثل بها مظهر بهي من مظاهر عدلك الحكيم، ويقوم على حروفها ما قد فطمك الله تعالى عليه من نبل العاطفة

لم يكتف الإمام أمير المؤمنين (ع) بهذا المظهر المهيب من مظاهر روحانيته المقدسة، بل أعقبه بما فيه تمثيل العدل في الرعية، ذلك حين أخرج (ع) من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها رسالة، ملؤها العبرة والعظة، ولزوم الإحتياط في أمور الولاية، كتب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا

الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ) ، (إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام) ... هذه رسالة كريمة يبعث بها علي (ع) الى ذلك الوالي الذي لم يحسن السيرة ولم يقم بما رسمه له إمام زمانه من مناهج متألقة تحفظ حقوق الرعية ، إنها رسالة محكمة حين يفتتحها علي (ع) بآي من القرآن المجيد طبق المقام على الدقة ، كما انها رسالة بلغت الغاية من الايجاز والبلاغة حين يختمها (ع) بأخصر بيان فيه بلوغ المقصود إذ قال ( اذا اتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام)

قبضت سودة على هذا الكتاب من يد علي (ع) ، وملء جوانحها بهجة وسرور قبضت عليه وهي حريصة عليه إذ أنها تعلم انها بهذا الكتاب سيكون نجاحها وفوزها بطلبتها ، وانها به تكون بشيراً كريما الى قومها بعزل ذلك الوالي وتنصيب آخر مكانه يحسن السيرة وفق تعاليم الإمام علي (ع) له

لقد زفت سودة الى معاوية هذه النبذة التاريخية النبيلة من سيرة علي الحكيمة ، و كشفت له بنثر هذه النبذة عما كان فيه أمير المؤمنين (ع) من كمال المحافظة على مصالح المسلمين ، ومن جمال استقباله للوافدين عليه لقضاء حوائجهم الخاصة والعامة ، ذلك الإستقبال المملوء عطف ورحمة ، ولله در سودة حين تنثر على سمع معاوية ما كان فيه علي (ع) من الإسراع لعزل من ولاه على قطر أو ثغر اذا ظهر منه العسف والحيف في الولاية .

كان لهذا الحديث « حديث سودة » مع معاوية هيبة ألبست مجلسه من جلالها العسجدي ما هو جدير بالذكر والتقدير ، هيبة ألزمت معاوية الإصغاء والإكبار لما نثرته عليه سودة من جمال عدل الإمام أمير المؤمنين (ع)

لقد اصبح حديث سودة ، المذكور ، كنجمة متلألأة تزهو به صفحات الكتب ، ويتبجح بإثباته رواة الحديث والأدب ، كما يترنم بتلاوته علماء المنبر

( ختام الكلام على حديث سودة ؛ بحديثي جمجمتي كسرى وبرويز )

## ﴿ مع الامام امير المؤمنين (ع) ﴾

وعلى ذكر شرف العدل وجماله فنزف الى القراء الكرام في المقام حديث جمجمة كسرى انوشروان مع الامام علي (ع) ، ذلك الحديث النبيل ، الذي يلمع عن سر الامامة وسمو منزلة الخلافة ، ويبرهن لدى كل ذي عقل ودراية وعرفان مالفضيلة العدل من خطير الآثار الوضعية وإن صدرت « فضيلة العدل » من غير أهل الايمان بل ومن غير أهل التوحيد ، لقد أثبت هذا الحديث في كتاب « مدينة المعاجز » عن البرسي عن عمار الساباطي قال : قدم امير المؤمنين (ع) المدائن فنزل بايوان كسرى وكان معه دلف ابن منجم كسرى فلما ظل الزوال قال لدلف : قم معي وكان معه جماعة من أهل الساباط فما زال (ع) يطوف في مكان كسرى ويقول لدلف : كان لكسرى هذا المكان لكذا وكذا فيقول دلف : هو والله كذلك فما زال (ع) على ذلك حتى طاف المواضع الجميع . ودلف يقول : هو والله ياسيدي ومولاي كأنك وضعت هذه الأشياء في هذه الأمكنة ؛ ثم نظر صلوات الله عليه الى جمجمة نخرة فقال لبعض أصحابه : خذ هذه الجمجمة ثم جاء (ع) الى الايوان وجلس فيه ودعا بطست فيه ماء فقال (ع) للرجل : دع هذه الجمجمة في الطست ثم قال : أقسمت عليك ياجمجمة لتخبريني من أنا ومن أنت ، فقالت الجمجمة بلسان فصيح : أما أنت فأمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين ، وأما أنا فعبدك وابن أمتك كسرى أنوشروان ، فقال أمير المؤمنين (ع) : كيف حالك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، عليك السلام إني كنت ملكاً عادلاً شفيقاً على الرعايا رحيماً لأرضي بظلم ولكن كنت على دين المجوس وقد

ولد محمد ﷺ في زمان ملكي فسقط من شرفات قصري ثلاثة وعشرون شرفة ليلة وُلد فهممت أومن به من كثرة ماسمعت من الزيادة من انواع شرفه وفضله ومرتبته وعزه في السموات والارض ومن شرف أهل بيته ولكني تغافلت وتشاغلت عنه في الملك فيا لها من نعمة ومنزلة ذهبت مني حيث لم أومن به ، فأنا محروم الجنة بعدم إيماني به ، ولكني مع هذا الكفر خلصني الله من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعية فأنا في النار ؛والنار محرمة علي ، فواحسرتاه لو آمنت به لكنت معكم ياسيد أهل البيت محمد ويا أمير المؤمنين ، قال فبكى الناس وانصرف القوم الذين كانوا معه من أهل الساباط الى أهليهم ، وأخبروهم بما كان وبما جرى من الحجمة فاضطربوا واختلفوا في معنى أمير المؤمنين ، فقال المخلصون منهم : إن أمير المؤمنين عبد الله ووليه ووصي رسول الله ﷺ وقال بعضهم : هو النبي وقال بعضهم : بل هو الرب ، مثل عبد الله ابن سبا وأصحابه وقالوا : لولا انه الرب وإلا كيف يحيي الموتى قال : فسمع بذلك أمير المؤمنين (ع) فضاق صدره وأحضرهم وقال : ياقوم غلب عليكم الشيطان واستحوذ عليكم ، إن أنا إلا عبد أنعم الله علي بإمامته وولايته ووصية رسول الله ﷺ فارجعوا عن الكفر فأنا عبد الله وابن عبده ؛ ومحمد (ص) خير مني ، وهو أيضا عبد الله ، وإن نحن إلا بشر مثلكم ، فخرج بعضهم عن الكفر ، وبقي قوم على الكفر مارجعوا ، فألح عليهم أمير المؤمنين (ع) بالرجوع فما رجعوا فأحرقهم بالنار ؛ وتفرق منهم في البلاد قوم ، قالوا : لولا ان فيه الربوبية وإلا فما كان بالنار أحرقنا [1] انتهى

يعطينا هذا الحديث بلامع بيانه ناحيتين هامتين ؛ يعطينا ما كان للامام علي (ع)

---

(١) سنأتي إن شاء الله تعالى على بيان هذه النقطة من حرق علي (ع) لمن اعتقد فيه الألوهية في مقام آخر من أجزاء هذا الكتاب الآتية إن شاء الله

من ظهور آيات الإعجاز على يده ، يعرف هذه الناحية ويجثو أمامها ، مذعناً بسرها العميق ، من عرف نفسيات الرجال الأكابر الذين نالوا أسمى مكانة روحية في صدر الاسلام ، والذين خلد لهم التاريخ أشرف الذكر وأطيبه ، والذين سموا بعزائمهم إلى ما فوق الفرقدين ، ذلك هو الامام أمير المؤمنين (ع) ؛ ففي كل عضو منه علا الكمال يتوقد ، وفي كل جارحة من جوارحه جمال الطبيعة يتلألأ ، كما قد تكون سر الفضيلة في كل عرق من عروقه ، ولمع وبرق العزيمة في كل قطرة دم من دمائه ، يسمو علي (ع) بهذا الشكل الباهر من الخلق والتكوين منذ أن بدأ الله تبارك وتقدس خلق الأنبياء والرسل ؛ كما يسود علي (ع) الصحابة أجمع باختيار الله تعالى له خليفة ووصيا منذ أن أن خر لربه ساجداً في البيت الحرام .

إنما يعرف هذا كله في الامام علي (ع) من درس تأريخ حياته ، ووقف على تفاصيل أحواله ، من أبصر بعينيه جليل خدماته ، ونظر إلى خطير ما أنشأ الرسول ﷺ فيه (ع) من كريم المدحة ، وإلى ما قد نوه الله تعالى به في حقه من آي الثناء في القرآن المجيد ، وإذا كان الله سبحانه قد أنطق الجمجمة لأمير المؤمنين (ع) فقد كان عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله ، وليس عيسى عند الله بأفضل من علي بل علي (ع) أفضل منه ومن سائر من تقدمه من رسول ؛ فلا عجب إذاً بأن يظهر الله تعالى تلك الآية على يد الامام أبي الحسن ، بل ولا عجب إذاً بأن يكلمه الصخر الأصم ، وأن يحيي (ع) بإذن الله تعالى رميم البلى ، وأنت إلى أي جهة نظرت من جهات علي (ع) فإنما ترى فضلا يزهر ، وحسناً يتلألأ بكمال الصنعة وبديع الخلقة ؛ ثم انظر وتأمل في حروف اسمه (ع) فانما ترى بكل حرف منها سراً يلمع عن حكمة الوجود ، ورمزاً يشرق عما للوصاية في شخصه من أثر سالم في عالم القدس .

هذه هي الناحية الاولى التي نتلقاها بصراحة من هذا الحديث ، كما يعطينا هذا

الحديث بجلاء ،جوهر الناحية الثانية، هي ما للعدل من جليل الآثار الروحانية ، تلك الآثار التي فيهاراحة للبدن ، وإيناس للروح ، ورفع لآلام لا بد منها لولا فضيلة العدل ؛ لولاما يتولد من هذه الفضيلة السامية من قوه دافعة لتلك الآلام السامة ، كما كان ذلك للملك العادل كسرى انوشيروان .

وبعد اعمال النظر في أسرار الفضائل وحكمها المبتنيه عليها، وبعد إدراك ماللعدل من هذا الأثر الجسيم، فبعد هذين نقدر بأن نقف بسهولة على ما يتولد من الظلم ، من الآثار الوضيعة السامة ؛ ونقول في بيان ذلك على سبيل الاجمال: ان الكافر مثلا مخلد في النار بلا ريب ، كما أن هناك مرتبة خاصة من آلامها ثابتة له على كفره بلا شبهة ، فاذا سار الملك الكافر ذو السلطة والنفوذ على خطة العدل في الرعية الى آخر عمره فلا محالة عندئذ بأن يكون هذا العدل رافعاً لتلك المرتبة الخاصة من الآلام بل ولآلام أخرى غيرها مرتبة على ترك حقوق ترجع الى الله وحده ، فهو في النار ، وغير معذب بها ، إما لأن نفس الحرارة قد ارتفعت من النار بواسطة العدل ، وإما انها كامنة فيها ولكن هناك العدل مانع من تأثيرها في جسمه ، أما اذا خالف الملك الكافر ذو السلطة والنفوذ خطة العدل فسار على خطة الظلم والجور فلامحالة عندئذ بتضاعف تلك الآلام الى حد شديد من عذاب النار ، وعليه فالكفر سبب لأمرين معاً ، لدخول النار المؤبد ، ولكم معلوم من الآلام ، أما مايكون من آلام اخرى في النار زائدة على ذلك الكم الخاص فإنما هو بأزاء مايقوم به الملك الكافر من الرذائل والقبائح الأخرى كرذيلة الظلم مثلا التي يتمثل بها أعلى مراتب القبح والرذيلة والاغضاب لله تعالى ، ويكشف عن واقع هذه النظرية حديث جمجمة برويز بن هرمز مع الامام علي (ع) ، أثبت هذا الحديث في كتاب « مدينة المعاجز »عن الشيخ البرسي أيضا قال روى ابو رواحة الأنصاري عن المغربي قال : لما فرغ يعني أمير المؤمنين (ع) من

حرب النهروان أبصرنا جمجمة نخرة بالية فقال (ع) هاتوها فحركها بسوطه فقال : اخبريني من أنت ؛ فقير أم غني ، شقي أم سعيد ، ملك أم رعية ، فقالت بلسان فصيح يا أمير المؤمنين أنا كنت ملكاً ظالما فأنا برويز بن هرمز ملك الملوك ، ملكت مشارقها ومغاربها ، وسهلها وجبلها ، وبرها وبحرها ، أنا الذي اخذت الف مدينة في الدنيا ، وقتلت الف ملك من ملوكها ؛ يا أمير المؤمنين أنا الذي بنيت خمسين مدينة وفضضت خمسمائة جارية بكر ، واشتريت الف عبد تركي وأرمني ورومي وزنجي ، وتزوجت بسبعين الفا من بنات الملوك ، وما ملك في الأرض الا غلبته وظلمت أهله فلما جاءني ملك الموت قال يا ظالم يا طاغي خالفت الحق ، فتزلزلت أعضائي ، وارتعدت فرائصي ، وعُرضَ علي أهل حبسي فإذا هم سبعون الفا من أولاد الملوك قد شقوا من حبسي ، فلما رفع ملك الموت روحي سكن أهل الأرض من ظلمي فأنا معذب في النار أبد الآبدين ، فوكل الله بي سبعين الف الف من الزبانية ، في يد كل واحد منهم مرزبة من نار ، لو ضربت على جبال اهل الأرض لأحرقت الجبال فتدكدكت ، فكلما ضربني الملك بواحدة من تلك المرازيب أشتعل في النار فيحييني الله تعالى ويعذبني بظلمي على عباده ، وكذلك وكل الله تعالى بعدد كل شعرة في بدني حية تلسعني وعقربا تلدغني ، كل ذلك أحس به كالحي في الدنيا فتقول لي الحيات والعقارب ، هذا ظلمك على عباده ... ثم سكتت الجمجمة فبكى جميع عسكر أمير المؤمنين (ع) وضربوا على رؤوسهم وقالوا : يا امير المؤمنين جهلنا حقك بعدما أعلمنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنما خسرنا حقنا ونصيبنا فيك وإلا أنت ماينقص منك شيء فاجعلنا في حل مما فرطنا فيك ورضينا بغيرك على مقامك وشرفك فإنا نادمون ، فأمر صلوات الله عليه بتغطية الجمجمة ، فعند ذلك وقف ماء النهر من الجري وصعد على وجه الماء كل سمك وحيوان كان في النهر فتكلم كل في وقته مع امير المؤمنين (ع) ، يدعو له ويشهد له

بإمامته ، وفي ذلك يقول بعضهم

سلاميَ على زمزم والصفا ... سلاميَ على سدرة المنتهى
وقد كلّمتك لدى النهروان ... نهاراً جماجم أهل الثرى
وقد بدرَت لك حيتانها ... تُناديك مذعِنةً بالولا[1]

## غاية المدح في علاك ابتداء

يلمع فضل الامام علي (ع) أمام مهرة الشعراء ، فينعكس في نفوسهم ، ويحتل من قلوبهم أسمى المنازل ، وينبعثون على تلألؤ هذا اللمع الى ترتيل آي المدح في فضله وعلاه ، وينظر الشاعران العبقريان الشيخ صالح التميمي والشيخ عبد الباقي العمري الى ما قد تجمع في علي (ع) من فضل وكمال ، والى ما ساد به الصحابة أجمع من علم وتضحية وإخلاص ، فتنهض بهما شاعريتهما النبيلة ، ويستفزهما إحساسهما وشعورهما إلى تنظيم هذه المآثر الوضاءة فينشدان في الامام أبي الحسن «ع» ماتخجل منه عين الشمس ، ذلك حين يترنم كل منهما قائلاً[2]

يا علياً به تباهى العلاء ... وتناهى في نعته الإطراء

---

(١) أما الذين كتبوا من المصريين في الامام علي (ع) فيعدون أمثال هذه الاخبار من الخرافات ؛ أو أنهم ينسبونها الى المغالاة ، ذلك لانهم لا ينظرون اليه (ع) كنظرهم الى خلفاء الأنبياء السالفين الذين تظهر على ايديهم الآيات والكرامات في محل تقتضي الحكمة الإلهية ذلك وان شئت فقل : في محل تقتضي سياسة الخلافة والوصاية ظهور الآية والكرامة ، إلاان يتجردوا من التصديق بثبوت هذه المرتبة لخلفاء الأنبياء ، الذين نزل عليهم صك الخلافة من السماء كما نزل صك النبوة على الأنبياء ، وماذلك منهم اليوم ببعيد ، لذا تراهم لا يتعرضون فيما ظهر من كتبهم في علي (ع) لشيء من هذه المباحث ، وربما يكون مرورهم عليها مرور الساخرين ، ويرون ان التصديق بها في الامام علي (ع) من الأمور الرجعية ، نعوذ بالله تعالى من هذا الضلال البيّن عند ذوي الإيمان والشعور (٢) الأصل للشيخ صالح التميمي والتخميس للشيخ عبد الباقي العمري ، وهذه القصيدة مثبتة في ديوانه

مالمجدِ شأوتَ[1] فيه انتهاء غاية المدح في علاك ابتداء
ليت شعري ماتصنع الشعراء

كنتَ للمجتبى بحرب وسلمِ وزيراً قائمـا بـكل مهم
أنت صنو[2] له بعلم وحكم يـا أخ المصطفى وخير ابن عم
وأميرٍ[3] إن عُدَّت الأمراء

رتب نلتهـا بنسبـة طـه قصرت كل رتبـة عن مداهـا
إن نظرنا الأنام من مبتداهـا مانرى ماستطال إلا تنـاهى
ومعاليك ما لهن انتهاء

لدراريك في سمـا المجد ضوء وبجضن الأدوار منهن خبء
يقتفي الختم من سواربك بـدء فلك دائر إذا غـاب جـزء
مـن نواحيه أشرقت أجزاء

أو كشمس يغشى سناها الهباء[4] من غبـار تثيره الهيجـاء
فيميط[5] الهبـاء عنهـا الهواء أو كبدر مايعتريه خفاء
من غمام إلا عراه انجلاء

أنت بحر لـكنه غير آجن[6] لقريش به حمي ومسـاكن
الك مدّ قبل التكوُّن كائن يحذو البحرُ صولةَ الجزر لكن
غارة المد غارة شعواء(٧)

(١) شأوت القوم شأوا اذا سبقتهم (٢) الصنو المثل ومنه حديث ابن عباس عم الرجل صنو أبيه أي مثله (٣) أي وخير أمير (٤) الهباء مايخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار (٥) أماط عنه الأذى أي أبعده عنه ونحاه وأزاله وأذهبه (٦) الآجن المتغير يقال أجن الماء من بابي قعد وضرب تغير لونه وطعمه فهو آجن كضارب اسم فاعل
(٧) الشعواء المتفرقة وأشعى القوم الغارة بثوها وفرقوها

نلتَ فضلاً أبا تراب فأقصى　　　كل فضل، عم الوجود وخصا

ويوم الحسـاب لا يُستقصى　　　ربما رمل عالج[1] يوم يحصى

لم يضق في رماله الاحصاء

ولو أن الأقلامَ كل نباتٍ　　　ومياهَ البحـار حبرُ دواة

ضقن عما أظهرت من خارقات　　　وتضيق الأرقام عن معجزات

الك يا من اليه ردت ذكاء (٢)

منهجا للهدى خلقت قديما　　　جئتَ تهدي عمياً وتشفي سقيما

فاتخذناك هاديا وحكيما　　　ياصراطا الى الهدى مستقيما

وبه جاء للصدور الشفاء

شيدت في ذي الفقار للدين أصلا　　　فتسامى قدرا وعزٌ وجلا

وعلى ما أسستَ قولاً وفعلا　　　بُني الدين فاستقام ولولا

ضرب ماضيك ما استقام البناء

أنت والحق دمتما بوفاقِ　　　أنت يوم اللقا على الحوض ساق

أنت ذاك الكرار يوم سباق　　　أنت للحق سُلم ما لراق

يتأتى بغيره الارتقاء

فيك خير الأنام أوتيَ سؤلاَ　　　مثل ما أوتي ابن عمران قبلا

يا أبا شبّر وقد صح نقلا　　　أنت هرون والكليم محلا

من نبي سمت به الأنبياء

قل تعالوا ندعو بمحكم ذكر　　　لك فخر بها علا كل فخر

---

(١) عالج ماتراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض ، ونقل ان رمل عالج جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء بقرب يمامة ، وأسفلها بنجد ، وفي كلام البعض رمل عالج محيط بأكثر ارض العرب، كما في مجمع البحرين (٢) ذكاء بالضم اسم للشمس معرفة ، وبالفتح شدة وهج النار واشتعالها

أنا أدري وجملة الخلق تدري أنت ثاني ذوي الكساولعمري
أشرف الخلق من حواه الكساء

كنت في جيب الغيب معنى يصان(١) حين لا أعصر ولا أحيان
أيقل الإسرار منك مكان ولقد كنتَ والسماء دخان
ما بها فرقد ولا جوزاء

بك ليل العماء ضاء بلالَيْ فاستضاء الوجود من ظلمة الغي
درة كنتَ والجواهر لا شي في دجا بحر قدرة بين بردي
صدف فيه للوجود الضياء

نقطة أفرغت وليس وعاء مُلئت حكمة ولا إملاء
تحت باء لها العباء غطاء لا الخلا يوم ذاك فيها خلاء
فيسمى ولا الملاء ملاء

خبر جاءنا بذا ماثورُ وحديث مسلسل مشهور
عنعنته عن الصدور صدور قال زورا : من قال : ذلك زور
وافترى من يقول : ذاك افتراء

قصبَ السبق في مقام كريم حزتها من لدن حكيم عليم
أنت يامن سبقتَ في تقديم آية في القديم صنع قديم
قاهر قادر على ما يشاء

هل أتى في سواك ذكر حكيم لك في نص آية تعظيم
أو لم يُغن من له الجهل خيم(٢) نبأ والعظيم قال عظيم
ويل قوم لم يُغنها الانباء

---

(١) هكذا وجدنا في الأصل ولا يخفى ما فيه من الخلل
(٢) الخيم بكسر الخاء الطبيعة والسجية كما في المعتمد

خصك الله من لدنه بفخر     في مرايا العقول لا يتصور
كنتَ في غابة الهوية حيدر (١)     لم تكن في العموم من عالم الذر
وبنهى عن العموم النهاء

إنما الناس إن نظرت معادن     فرقها في تفاضل متباين
خلني من دفائن وضغائن     معدن الناس كلها الأرض لكن
أنت من جوهر وهم حصباء

كم قضينا من نشر تلك المطاوي     عجباً يوقع النهى في مهاوي
ولقد صح إذ سبرنا الفحاوي     شبه الشكل ليس يقضي تساوي
انما في الحقائق الإستواء

لم ينل نجم الأرض مهما تزيا     مثل نجم السما مكاناً عليا
فاتحاد الألفاظ لم يغن شيا     لا تفيد الثرى حروف الثريا
رفعة أو يعده استعلاء

روضة انت للعقول ودوح     يُجتنى من طوباك رشد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح     شمل الروح من نسيمك رَوح
حين من ربه اتاه النداء

طالما للأملاك كنتَ دليلا     ولناموسهم هديتَ سبيلا
يوم نادى رب السما جبرئيلا     قائلاً من أنا فروّى قليلا
وهو اولاك فاته الإهتداء

لك شكل نتيجة للقضايا     لك قلب للعالمين مرايا
لك فعل حوى رفيع المزايا     لك اسم رآه خير البرايا
مذ تدلى وضمه الإسراء

---

(١) الغابة الاجمة من القصب ، والغابة الأجمة ذات الشجر المتكاثف لانها تغيب مافيها ، والهوية البئر البعيدة القعر ، وحيدرة اسم من اسماء الاسد سمي به علي (ع)

فوعاه بالحس حداً ورسماً حيث ساوى معناه منك مسمى
قبل عرض الاسماء اسماً فإسماً خط مع اسمه على العرش قدما
في زمان لم تعرض الأسماء

إثر هذا أبدى عوالم ملكٍ فاطر الأرض والسماء ذات حبك
وأناط البروج فيها بسلك ثم لاح الصباح من غير شك
وبدا سرها وبان الخفاء

فقضاها مسبب الأسباب نوبةً للأرحام والأصلاب
وجرى ما جرى بأم الكتاب وبرى الله آدماً من ترابِ
ثم كانت من آدم حواء

«مافرق الله شيئاً في خليقته من الفضائل إلا عندك اجتمعا»

لم تزل بديهة الشاعر المجيد الشيخ عبد الباقي العمري توحي اليه بنظم ما تفوق به الامام علي (ع) من غر الفضائل والمناقب ؛ بنظمه من قلائد شعره ما يزهو بـه كل عصر ، ويترنم بترديده كل حاذق لبيب .

ينشط ذلك العمري الأديب عند ذكر أبي الحسن (ع) وتأخذه نشوة الاعجاب والاكبار عندما ترتسم أمام عينيه هاتيك الفضائل والمناقب بعدما ارتسمت على فاكرته صوراً تتلألأ .

ينظر هذا الشاعر الألمعي إلى الفضيلة ؛ وإلى سرها العميق ، وإلى سائر ما لها من أصول وفروع وشعب ، ثم ينظر مرة اخرى إلى أشخاص الصحابة متأملا في سائر مزاياهم من حسنات وخلافها ، فلا يرى منهم من قد مثل الفضيلة بحق إلا الامام عليا (ع) كما لا يرى فيهم من قد جمع الفضيلة بسائر مالها من تلك الاصول والفروع والشعب إلا شخص أمير المؤمنين ، لذا كان هذا الشاعر العمري لايلبث بعد هذا النظر إلا يسيراً من الزمن وإذا به ينير الوجود بسبيكة من سبائك شعره الذهبية في مديح

أبي السبطين ، ذلك حين يقول .

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا ... ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا
وأنت باب تعالى شأن حارسه ... بغير راحة روح القدس ما قرعا
وأنت ذاك البطين الممتلي حكما ... معشارها فلك الأفلاك ما وسعا
وأنت ذاك الهزبر الانزع البطل ... الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت نقطة باء مع توحدها ... بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقضى الانام به ... غداً على الحوض حقا تحشران معا
وأنت صنو نبي ، غير شرعته ... للأنبياء آله العرش ما شرعا
وأنت غوث وغيث في ردى وندى ... لخائف ولراج لاذ وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير بـه ... وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت عين يقين لم يزده به ... كشف الغطاء يقينا أية انقشعا
وأنت ذو حسب يعزى الى نسب ... قد نيط في سبب ، أوج العلا قرعا
وأنت من حمت الاسلام وفرته (١) ... ودرعت لبدتاه الدين فادّرعا
وأنت أنت الذي منه الوجود دنضى (٢) ... عمود صبح ليا فوخ الدجا صدعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم ... في موضع يده الرحمن قد وضعا
وأنت أنت الذي للقبلتين مع ... النبي أول من صلى ومن ركعا
وأنت أنت الذي في نفس مضجعه ... في ليل هجرته قد بات مضطجعا
وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت ... على الاثير (٣) وعنها قدره اتضعا
وأنت أنت الذي آثاره مسحت ... هام الأثير فأبدى رأسه الصلعا
وأنت أنت الذي لله ما فعلا ... وأنت أنت الذي لله ما صنعا

---

(١) الوفرة بفتح الواو الشعر الى شحم الأذن ثم الجمة ثم اللمة وهي التي المت بالمنكبين ، والوفرة المرة من الوفر وهو المال الكثير (٢) نضاه جرده وسله وخلعه (٣) في المعتمد الأثير هو في علم الطبيعيات مادة رقيقة لطيفة جدا منتشرة في أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة والكهربائية الخ ، وفي الكيمياء سيال خفيف متطير سريع الالتهاب يستحضر من الكحول والحامض الكبريتي . يونانية معربه . والمراد في المقام هو المعنى الأول قطعا

وأنت أنت الذي لله ما وصلا ... وأنت أنت الذي لله ما قطعا
حكمت في الكفر سيفا لو هويت به ... يوما على كتد(١) الأفلاك لانخلعا
محدب يتراءى في مقعره ... موج يكاد على الأفلاك أن يقعا
أسلت من غمده ناراً مروّقة ... تجرّع الكفر من راووقها جرعا
حكى الحمام حماما من حسامك في ... لسان نار على هاماتهم سجعا
يدي فقارك عنا أي فاقرة ... قصمتها ودفعت السوء فاندفعا
أراد سيفك في ليل العجاجة أن ... يروي السنا عن لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو ... كان العلاج بغير البيض ما نجعا
وباب خيبر لو كانت مسامره ... كل الثوابت حتى القطب لانقلعا
باريت شمس الضحى في جنة بزغت ... في يوم بدر بزوغ البدر اذ سطعا
لله در فتى الفتيان منك فتى ... ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
لقد ترعرعت في حجر عليه الذي ... حجر براهين تعظيم بها قطعا
ربيب طه حبيب الله أنت ومن ... كان المربي له طـه فقد برعا
اخاك من عز قدراً أن يكون له ... أخ سواك اذا داعي الإخاء دعا
سمتك أمك بنت الليث حيدرة ... أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادي وبضعته ... وقرتي ناظريه ابنيك قد جمعا
قد خادعوا منك في صفين ذا كرم ... ان الكريم اذا خادعته انخدعا
نهج البلاغة نهج عنك بلغنا ... رشداً، به اجتث عرق الغي فانقمعا
به دمغت لأهل البغي أدمغةً ... لنخوة الجهل قد كانت أشرّ وِعا
مافرق الله شيئا في خليقته ... من الفضائل الا عندك اجتمعا
أبا الحسين أنا حسّان مدحك لا ... أنفك أظهر في انشائه البدعا
وكل من راح للعلياء مبتكراً ... جاء الثناء على علياه مخترعا
عذراً فقد ضقت ذرعاً عن إحاطته ... وكلما ضقت عن تحديده اتسعا

---

(١) الكتد والكتد بالفتح والكسر ما بين الكاهل الى الظهر ج أكتاد وكتود

وجوهر المدح في علياك رونقه ... بلبة الدهر في لألائه نصعا (١)
مدح لقد خضعت كل الحروف له ... وكل صوت الى إنشاده خشعا
به أساجل أقواماً اجالسهم ... فيذهبون بتهذيبي له شيعا
فاقبل فدتك نفوس العالمين ثنا ... بمثله العالم العلوي ما سمعا
عليك أسنى سلام الله ما غربت ... شمس وما قمر من أفقه طلعا

شعر نبيل يجيده الشاعر العمري في مديح الامام علي (ع)، ونصوغه فا كرته الوقادة طبق ما قد برز فيه أمير المؤمنين من كمال رائع في المجتمع الاسلامي، ولطالما كانت فضائل علي (ع) تجيش في نفس هذا الشاعر الأديب، واطالما كانت تهيجه وتستفزه، وتقيمه وتقعده، وهو ولع بها لا ينفعك عن تلاوتها في كثير من أوقاته، لقد كان هـذا الشاعر العمري يندفع على ضوء فضائل الامام أبي الحسن، وينبعث بحماس عز مثيله عندما يلمع في نفسه شعاع هاتيك الفضائل .

أجل كان هذا الشاعر يندفع إلى تنظيم هـذه الفضائل من لآلي شعره السحري ما يكون أمثالا سائرة تتغنى بها الركبان، ويتحلى بنشيدها كل عربي كريم، ذلك حين يقول .

يا أبا الأوصياء أنت لطه ... صهره وابن عمه وأخوه
إن لله في معانيك سراً ... اكثر العالمين ماعلموه
أنت ثاني الآباء في منتهى الدّور، ... وآبائه تعد بنوه
خلق الله آدما من تراب ... فهو ابن له وأنت أبوه

وحين يقول أيضا

إذا الحق انتمى لحمى علي ... فلا تعجب لأن الحق يعلو

(١) اللبة بفتح اللام وتشديد الباء المنحر وموضع القلادة والجمع لبات كحبة وحبات، والناصع الخالص من كل شيء، ونصع لون الشيء نصوعا ونصاعة خلص وصفا

وحقك ما بغير ثراه حق ولا خلق يلوذ ويستظل

وحين يقول أيضاً

تالله يا أهل الكساء يا آل فخر الأنبياء
يا عترة الكرار يا أبناء سيدة النساء
ما أبصرت إلا بعين أبيكم عينُ العماء
كلا ولا برز الوجو د ولا الشهود لعين راء
إلا بنقطة مركز في البدء كانت تحت باء
فلذاك لم يزدد يقينا يوم كشف للغطاء
ولقد تبدى طالعاً كالبدر من فلك العباء
من بعد ماشمس الرسا لة قد حبته بالضياء
هذا ومنكم أحدقت من حوله زُهر العلاء
فسما علي مقامه قدراً على أوج السماء

### ✻ يتجلى علي (ع) بمثالية العاطفة يوم صفين حين أباح الماء لمعاوية وأصحابه ✻

يتلألأ بهاء الإمام علي (ع) في فضاء صفين، وتزهو بسناه الوضاء هاتيك الفيافي الشاسعة، وربوات تلك البيداء القاحلة، وتحيي بري عاطفته النبيلة نفوس أعاديه الالداء، ذلك حين ملك (ع) مشرعة الفرات، فأباح مائها لمعاوية وأصحابه، كان ذلك منه بعد أن استولى معاوية على المشرعة فمنع أمير المؤمنين (ع) وأصحابه من مائها الجاري.

لقد أشار إلى هذه اللمعة التأريخية في الامامة والسياسة حيث قال: انه لما نزل معاوية بصفين بعث أبا الأعور بن معه ليحولوا بينهم «بين علي وأصحابه» وبين

الفرات [1] وان أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات ، فحالت خيل معاوية بينهم وبين الماء فانصرفوا إلى علي(ع)فأخبروه ، فقال علي للأشعث: إذهب إلى معاوية فقل له : إن الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه فإن شئت خليت عن الماء وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له ؛ فانطلق الأشعث إلى معاوية فقال له: إنك تمنعنا الماء ، وأيم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل أن نغلب عليه ، والله لا نموت عشطا وسيوفنا على رقابنا ، فقال معاوية لأصحابه : ما ترون ، فقال رجل منهم : نرى أن نقتلهم عطشاً كما قتلوا عثمان ظلماً ، فقال عمرو بن العاص:لا تظن يامعاوية أن علياً يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه ، خل عن القوم يشربوا ، فقال معاوية : هذا والله أول الظفر ؛ لاسقاني الله من حوض الرسول [2] إن شربوا حتى يغلبوني عليه ، فقال عمرو : وهذا أول الجور ، أما تعلم أن فيهم العبد والأجير والضعيف ومن لا ذنب له لقد شجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على قتالك .

ولما غلب معاوية على الماء اغتم علي لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم إلى بعض مخافة أن يغلب أهل الشام على الماء فقال الأشعث : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف ،خل عنا وعن القوم فوالله لأرجعن اليك حتى أرده أو أموت دونه وامر الأشتر أن يعلو الفرات في الخيل حتى آمره بأمري فقال علي : ذلك لك ؛ فانصرف الأشعث فنادى في الناس : من كان يريد الماء فميعاده الصبح فإني ناهض إلى الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الأشعث في الرجالة ، والأشتر

---

(١) كان معاوية حين وصل الى صفين قد سبق الى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات ، حيث انه قد نزل في صفين قبل نزول علي (ع) ، وقد كان من قبل كتب الى علي يخبره بمسيره ، كما في الامامة والسياسة (٢) يبرأ حوض الرسول (ص) من معاوية وشيعته ، انما هو لقسيم الجنة والنار ، علي (ع) وشيعته .

في الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الأشعث في الرجالة يمضي حتى خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى : أنا الأشعث بن قيس ؛ خلوا عن الماء ، فقال أبو الأعور : أما والله قبل أن تأخذنا وإياكم السيوف فلا ، فقال الأشعث : أظنها والله قد دنت منا ومنكم ، وبعث الأشعث إلى الأشتر أن أقحم الخيل فأقحمها الأشتر حتى وضع سنابكها في الفرات ، وحمل الأشعث في الرجالة فأخذ القوم السيوف فانكشف أبو الأعور وأصحابه وبعث الأشتر إلى علي : هلم يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء ، فلما غلب أهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال : يا معاوية ما ظنك إن منعك علي الماء كما منعته أمس أتراك ضاربهن كما ضربوك فقال : دع ما مضى عنك فإن عليا لا يستحل منك ما استحللت منه ، وإن الذي جاء له غير الماء انتهى .

تسير العاطفة مع الامام علي (ع) أينما سار ، وتقف معه حيثما وقف ، ويرتفع علم الحلم على رأس علي كلما أغاظه شانئوه وأساءوا اليه بقول أو فعل ، إن رجل الإنسانية من شمل بعاطفته أبناء مجتمعه ؛ وعم بحلمه وإحسانه من أراد به المكروه والأذى ، انظر إلى تلك الجريمة التي قد ارتكبها معاوية حين ملك المشرعة بصفين ؛ انظر اليه كيف قد منع عليا (ع) وأصحابه من ذلك الماء الجاري الذي تلغ فيه كلاب أهل السواد ، ويرد عليه كل كافر وملحد ، ترى معاوية في المقام قد جنى بعمله هذا على الإنسانية وزرا كبيرا لا يقال ، وأساء إلى أبنائها الأبرياء ماليس بغتفر ، تراه قد جاء بعمل منكر ؛ خلد له سوء الذكر ، وأورثه الخزي والمسبة طول الدهر ، تراه فخورا طروبا قد نفخ نفسه عتوا و كبرا حين رأى أنه قد سبق إلى المشرعة فملكها ، إن شأن معاوية ارتكاب الجرائم الموبقة ، والولع بصنع القبائح ونسج الرذائل ؛ ولم يكن معاوية ليتحاشى من فعل ما يغضب الله تعالى ويسخط الانسانية ، يرى معاوية حلاوة وطلاوة في ارتكاب الدنايا ، وراحة ولذة في اقتراف كل وضيع وخسيس من

الأعمال البهيمية المحضة، يمنع معاوية علياً واصحابه من الماء حين يرى أنه قد استولى بجنده على المشرعة، ويتشفى لنفسه بعمله هذا المنكر من علي وجنده المتقي الباسل، إنما هذه طريقة الأراذل، وصفات الأشقياء الذين فرخ الشيطان في صدورهم وعشعش، ثم انظر بثاقب فكرتك إلى صنع علي الجميل حين انخذل معاوية وجنده الخائب عن المشرعة، واستولى على مائها علي وجنده الأحرار؛ فترى علياً (ع) قد مثل في المقام كرم النفس، وبهاء الحلم؛ وجمال العاطفة حين أباح علي (ع) الماء لمعاوية وأصحابه، ولم يعبأ بمنع معاوية أولا له، ولم يبن عليه أثراً ولم يوجد في نفسه غلاً، هذه هي صفات من طهرت ذاته، وطاب أصله، ونجب بيته؛ وكان في نفسه رفيعاً عن كل دنية، يأبى لعلي (ع) منبته الهاشمي الرفيع، وشرفه العربي النبيل، وإبائه عن دنايا الأمور الوضيعة، أن يمنع معاوية وصحبه من الورود إلى المشرعة حين استحكم عليها أمر الإمام أبي الحسن وحين صارت تحت نفوذه وسلطانه، ان أمير المؤمنين (ع) قد فطم على الحلم والعطف والصفح ومن سائر أطرافه نقطر الشهامة والمروءة، وأينما التفت وإلى أي نظر فتنبعث منه الرقة والرحمة والإيثار على نفسه للقريب والبعيد، فتمنعه سجاياه هذه الغر أن يمنع معاوية من ذلك الماء الذي قد احتله فارس همدان مالك الأشتر.

يرى علي (ع) من القبح والعار أن يحرق اكباد جيش الضلال «معاوية وأصحابه» بالظمأ لو لم يخل بينهم وبين الماء، ويرى (ع) من جمال الفضيلة وكمال الحسن شرع التخلية بين معاوية والماء، لكن معاوية يرى بشرعه العكس إذا منع عليا واصحابه من الورود على مشرعة الفرات يوم صفين، فلا يرى معاوية في هذا الحال قبحاً ولا عاراً، ولا يرى انه قد اقترف جريمة أو أنه قد تقدم الى الإنسانيه بسوء

إنما يدفع معاوية الى منع الإمام علي (ع) من الماء ما قد فطم عليه ابن هند من الحقد والعداء لآل الرسول ﷺ، وإنما يبعثه لهذا التشفي المنقوم صممه عن الحق

وعماه عن الدين والهدى ، إن معاويه يرى في شرعه الأمـوي المسموم وجوب القضاء على الامام أمير المؤمنين (ع) بكل وسيلة ولو كان بمثل ما ارتكبه من تلك الجريمة التي لا يتمثل بها إلا التشفي الأثيم ، أما علي (ع) فما كان يرى النصرّ والظفر إلا من طريق السيف ، إلا باستعار نار الحرب وتطاير الأيدي والجماجم ، إن علياً (ع) يرى في شرعه المحمدي وجوب القبض على معاوية ، ولزوم القضاء عليه لكنّ من طريق العز والكرامة ، من طريق يتمثل به الشرف الإنساني ، من طريق برق الأسنة والرماح

إن معاوية يعرف الحق وأهله ، ويعلم ظلمه لعلي (ع) ، يعلم معاوية أنه غاصب لهذا الأمر بلا ريب ؛ وكم للامام أمير المؤمنين «فوق ذلك» من إعذارات وإنذارات وبراهين وحجج قد أدلى بها اليه وأرسلها برداً متتابعة فما كانت هذه لتزيد معاوية إلا صدوداً عن الحق ، واتباعاً للباطل ، وتصميما على قتال الامام أبي الحسن ، فلم يكن إذ ذاك عند علي (ع) من وسائل الإنذار والإعذار إلا مقاومة معـاوية بالسيف ، ولم يكن معاويه ليأبى ذلك أبدا

قاتلك الله يامعاوية ما أقدرك على الإغراء والتدليس ، ذلك حين تشد مئزرك وتقوم بالتأهب والإستعداد أمام أهل الشام لحرب علي (ع) تريهم بهذا الإستعداد والتأهب أنك ولي هذا الأمر حقا ، وذاك يا معاوية صلفك المتناهي ، وتمردك الفظيع على انتهاك حرمة الشريعة حين تقود جيش الضلال من ديار الشامات الى صفين لحرب أخ الرسول ، ونفسه ، وأبي سبطيه ، وما أخس طبعك يابن آكلة الأكباد ، وأرذل سجاياك حين تفتتح حربك لعلي في ذلك اليوم بمنعه عن ماء الفرات ، ذلك دأبك يامعاوية ، ودأب أصولك جراثيم الفساد بني أمية ، فدأبكم جميعاً سلوك طريق الرذائل والدنايا ، دأبكم طلب الغلبة من سبيل المساوي والقبائح ، ومن طريق

التمثيل بصلحاء الصحابة وأخيار التابعين .

إن معاوية إنما يحارب يوم صفين وإنما يمنع عن الماء يوم استولى على الفرات ، من قد طهره الله تعالى من الرجس تطهيرا ، من نوه الرسول ﷺ باسمه في السفر والحضر ، واتخذه وصيا وخليفة يوم الغدير ، ودفع اليه مواريث الأنبياء ، وأسر اليه علم الأوائل والأواخر ، إنما يحارب معاوية ويمنع عن الماء في ذلك المشهد ؛ من تصدق بخاتمه في الصلاة وهو راكع ، من أنزل الله تعالى فيه «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا» يجهل معاوية قدر الامام أمير المؤمنين (ع) ، كما قد جهل قدره من تقدمه ؛ ويشهر معاوية نفسه لحربه يوم صفين ، غير عابئ ولا مكترث بمثل قول النبي ﷺ « ياعلي حربك حربي » « أنا حرب لمن حاربك » ، ومتى لمع الدين في نفس معاوية أم متى كان في قلب معاوية من الدين مقدار حبة من خردل ، أم متى خطر على فكر معاوية بأن هناك نبوة ورسالة للصادق الأمين ﷺ

إن معاوية يرى كل قبيح حسنا ؛ وكل رذيلة فضيلة ، في سبيل قطعه المراحل التي يشاهد من خلالها الملك والسلطان

ومن كان على هذا الطراز من المبدأ والرأي فلا يبالي بعدُ باستحلال دماء مئات الألوف من البشر ، مسلمين وغير مسلمين ؛ في سبيل الوصول الى عرش الملك ، والإستقلال بزمام الإمرة والحكم

فمعاوية إذا يستحل دم علي وأصحابه ، ويرى لزاماً عليه منعهم عن ماء الفرات يوم صفين مهما كلفه الأمر ، يرى معاوية أن هذا المنع هو أول الظفر بعلي وصحبه

وعليك أن ترسم أمام عينيك سيرة أبويه ، صخر وهند ، مع الرسول ﷺ وتمعن النظر فيما قاما به من شتى وسائل التأليب والتحريض على حرب صاحب الدعوة المحمدية .

يشقى معاوية بحرب علي والخروج عليه ، كما قد شقي ابوه من قبل بقيادته الأحابيش ومشركي العرب لحرب الرسول و كسر شوكته ، على نهج ما قد شقيت به أمه هند لما أوقعت ذلك التمثيل الفظيع يوم أحد بحمزة سيد الشهداء

ومهما نسيت من شيء فلا ينبغي لك أن تنسى فتك علي (ع) بأبطال بني أمية والقضاء على فرسانهم المشاهير يوم خرجوا برايانهم لمقاومة الرسول ﷺ في هاتيك الغزوات المشهودة ، التي كان النصر فيها حليف النبي بسيف الامام علي ، ورجوع أبي سفيان بأتباعه خائباً مخذولا . وما غاب عن فكر معاوية شيء من هذا حين سبق الى الفرات يوم صفين ، لقد استحظر معاوية في هذا الحين كل ما أوقعه علي (ع) بأبطال قومه وفرسانهم من فتك وقتل وهزيمة ، وشرعت نفس معاوية في هذا الحين تلتهب غيظا وحنقا على الامام أبي الحسن ، وثارت بين ضلوعه عصبيته الأموية ، وقامت نيران الإنتقام تتأجج بين جوانحه ، فلم يستطع معاوية في هذا الحين إلا التشفي من علي (ع) بذلك العمل الوبيل حين بعث أبا الأعور بمن معه ليحولوا بين علي واصحابه وبين الفرات ، لكن علياً (ع) لم يقابل معاوية بالمثل حين انخذل أبو الأعور بمن معه ورجعوا مدحورين الى إمامهم ، ولم يصنع علي مع معاوية إلا الحسن الجميل حين احتل الفرات مالك الأشتر ، فترك علياً إذ ذاك قد أخلى سبيل الفرات لمعاوية وأصحابه ، غير معارضين بسوء من أصحاب الإمام أمير المؤمنين .

إن من سجايا الأباة الأحرار ؛ ومن جمال مكارم الأخلاق ؛ العفو عند المقدرة والإحسان لمن أساء ، كما كان ذلك من علي (ع) مع معاوية وأصحابه حين أباح لهم الماء وقد منعوه اياه من قبل

وخذ إليك من تحليل فكرة معاوية نبذة هي من دقيق نقاط الفن ، ترجع هذه النبذة الى الإلماع لما أشغل به معاوية قسما كبيرا من الوقت حول مايرسمه يوم صفين

من خطط الحرب التي يكون نائجها النصر والظفر

فأقول : لا ينكر أن الأمور كانت قد انتظمت لمعاوية في دمشق وديار الشامات وأن أهلها قد أطاعوه إطاعة عمياء ، وساعده على ذلك ماقد بثه ونشره في قلب دمشق وأنحاء الشامات من دعايات السوء في الامام علي (ع) ، فكان معاوية خالي البال ، مطمئن الفكر من هذه الناحية ؛ ولكن لم يكن هذا ولا سواه من رفاهة العيش ، وجباية الخراج الوافر ليصده عن التفكير فيما يزعزع به أمر علي (ع) فإنه كان لا يرى له معارضاً يخافه ويخشاه إلا الامام أبا الحسن ، فكان معاوية في كل لحظة وثانية يخشى بأس علي وسلطانه ، يخشى احتلال علي لديار الشامات ، وتكسيره للعرش الأموي الفاجر ، كما قد كسر الأصنام من بيت الله الحرام ، وكان معاوية يتصور أمامه ، ما بين آونة وأخرى ، تلك الحملات الهائلة التي كانت من علي (ع) يوم بدر وأحد والأحزاب ، وما غاب عن فكر معاويه لمعان ذي الفقار ، ولا ما كان من علي في هذه المشاهد من هدير ترتعد منه الفرائص ، ويبعث الصمم الى الآذان ، ولا شت عن فكر معاوية ذلك الموت الأحمر الذي كان ينبعث من ألحاظ علي في هاتيك الغزوات النبوية المروعة .

كان معاوية شديد التفكير ليلاً ونهاراً في أمر الامام علي (ع) فيما يخمد به ناره ويضعف به جنده .

كان «معاوية» لا ينفك يختلي بأهل بطانته وذوي الرأي والدهاء ممن يعتقد به النصيحة ، لارتآء الآراء التي توهن من سلطان أبي الحسن ، والتي ترجع عنه أصحابه الى الوراء ، حتى اذا جاء وقت صفين لتكون هناك المباهلة بين جيش الضلال «معاوية وجماعته» وبين جيش الحق «علي وجماعته» ، ازداد آنئذ تفكير معاوية ، وكثرت مؤامراته الخاصة مع عمرو بن العاص وأشباهه من فجرة بني أمية ، ازداد ذلك التفكير

و كثرت هذه الموآمرات بأخذا لحيطة والإستعداد لحرب علي (ع)

إنما يدفع معاوية لعقد هذه الموآمرات فجوره وشقائه، وإنما يبعثه للتفكير فيما يوهن به أمر علي (ع) خبثه ونفاقه في الاسلام، وحسده وعدائه لبني هاشم .

تم الرأي لمعاوية أن يسبق الامام علياً (ع) إلى صفين ليستولي من فضائها على النقاط والقواعد التي يستحكم بها على قتال علي، والتي يكون بواسطتها أشد إحكاماً للحرب والمناضلة، وأرجى للفوز والغلبة . عرض معاوية « قطعا » هذا الرأي على بطانته الفاجرة فأجادت استحسانه، واستصوبته كثيراً، ثم أعقب هذا الرأي رأي آخر عند معاوية وهو ؛ انه إذا سبق علياً (ع) إلى صفين فقد تمكن من الاستيلاء على الفرات، واستطاع عندئذ أن يحول بين علي (ع) وأصحابه وبين الماء، و كان لهذا الرأي الثاني في نفس معاوية أهمية ومكانة .

لقد توفر عند معاوية وهو بعد في دمشق هذان الرأيان، وازداد بشره وارتياحه إذ ذاك، وارتسم أمام عينيه قبل المسير إلى صفين صورة النصر والظفر، إذ كان معاوية يرى أنه إذا منع علياً وأصحابه من ماء الفرات فقد اضاف إلى قوته قوة، كان يرى أنه إذا أنفذ هذا المنع فقد أضعف من قوة علي، وأوهن من عزائم أصحابه الضراغم، كان معاوية يرى أنه إذا قام بهذا العمل الوبيل حال ما يسبق إلى صفين فقد بعث أصحاب علي إلى خذلان علي، واضطرهم لفراق علي .

كان هذا كله مسطوراً على فاكرة معاوية المسمومة؛ ومرسوماً على لوحات مخيلته المغشوشة، وما زال كل من الرأيين المذكورين، حديث نفسه وسمير خلوته، من قبل أن يرتحل بجيشه إلى صفين، ومن قبل أن يتأهب لذلك المسير المشوم، ومن قبل أن يضع رجله في الركاب لحرب أخ الرسول وأبي سبطيه، وبعد النظر ترى بأن ما رتبه معاوية من تلك الآثار على الرأي الثاني إنما هو من إيحاءات الشيطان الفاسدة .

لقد أدرك ابن العاص فساد هذا الرأي الثاني لذا تراه قد أشار على معاوية بالتخلية بين علي والماء ؛ بقوله :«لا تظن يا معاوية أن عليا يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت دونه ، خل عن القوم يشربوا » ... نصيحة يبعث بها ابن العاص إلى معاوية ، لقد أرشده بها إلى عدم نجاحه بالحيلولة بين علي وبين الماء ، وكشف له بأن هذا لا يوهن من أمر علي ما دامت أعنة الخيل بيده ، يريد ابن العاص بقوله : « وأعنة الخيل بيده » أنك يامعاوية لا تسلم من بأس علي إلا بصرف أعنة الخيل عن يده واخراجها من تحت سلطانه ؛ بما هنالك من وسائل وطرق عسى أن تنكشف لنا بعد ذلك ، ولو بمثل إلقاء الفتنة في معسكر علي ، أما منعه وأصحابه عن الماء فلا يجديك يا معاوية شيئا .

لكن هذه النصيحة لم تقع في نفس معاوية موقع القبول ، وتأبى نفس معاوية المركبة من عناصر الخبث واللامة الا أن يفاجىء ابن العاص بقوله:«هذا والله أول الظفر ؛ لا سقاني الله من حوض الرسول إن شربوا منه حتى يغلبوني عليه » ... بل هذا والله يامعاوية تمام الشقاء منك لا الظفر ، إنما يتمثل بهذا الكلام ما كان فيه ابن هند من خسة الطبع ، والغلظة والفظاظة ، إلى آخر ما قد تغلغل بين جوانحه من حقد ولؤم وعداء .

يا معاوية

وكل أناء بالذي فيه ينضح ... والذي خبث لا يخرج إلا نكدا

إن عداء معاوية لعلي (ع) يستفزه لأن يرد على ابن العاص نصيحته تلك ؛ بقوله «هذا والله أول الظفر الخ »، وأكاد أحكم بأن معاوية قد اعترته عند هذا القول حالة هي اخت الجنون ، منشأها شدة العداء لعلي ، واهاج فيه هذه الحالة نصيحة ابن العاص تلك ، التي يأمره فيها بالتخلية بين علي وبين الماء ، وهي نصيحة من ابن العاص بلاريب ويتجلى على نصيحة ابن العاص تلك أنه كان في المقام أشد روية ونظراً في العواقب

وأملك لنفسه من معاوية .

لم يقع كلام معاوية « هذا والله أول الظفر الخ » عند ابن العاص موقع الرضا ، وما كان ابن العاص ليتغير عن رأيه من نصيحته تلك ، واعلن لمعاوية عن سوء رأيه من الحيلولة بين علي وبين الماء ، بقوله الآخر « وهذا أول الجور ، أما تعلم أن فيهم العبد والأجير والضعيف ومن لا ذنب له ، لقد شجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على قتالك » ، قاتلك الله يا ابن العاص ما اصوب هذا القول منك في نصيحتك لمعاويه ؛ وابى معاوية الا الاصرار على منع علي واصحابه من الماء ، ولم يؤثر كل من قولي ابن العاص المذكورين [1] في نفس معاوية شيئاً ، وعلى الأخص قوله الثاني فإن فيه الإشارة إلى بيان المفاسد المترتبة على منع علي واصحابه من الماء ، من ناحيتين ، فالاولى من قوله «أما تعلم أن فيهم العبد والأجير والضعيف ومن لاذنب له» وهذه الناحية تشير إلى ما يقتضي أن يكون عليه الانسان من العاطفة على هذه الأصناف ، وكأن ابن العاص يقول لمعاوية : « إذا أنت يا معاوية منعت عليا واصحابه من الماء فقد مثلت القسوة والغلظة وكنت مسلوب العاطفة بالمرة إذ أن في اصحاب علي « العبد والأجير والضعيف ومن لاذنب له » واكره ان تشتهر عنك يا معاوية هذه الصفات الذميمة ، وهي منافية لما أنت فيه من الامرة ، وموجبة لوهن مكانتك في النفوس ، وأنت إنما تحارب عليا وهو مشهور بالفضل والفضيلة ، فكن معروفا يا معاوية في المقام بالرقه والرحمة والعاطفة . . . والناحية الثانية من قوله « لقد شجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك » وهذه الناحية تشير إلى أن في منع علي من الماء تقوية لجانبه ، وتوهيناً من قوة معاوية ؛ لقد صدق ابن العاص في هذا كله ، لكن معاوية لم يعبأ بكلام ابن العاص وبقي على ضلاله من إصراره على ذلك الرأي السافل ، أما الامام علي (ع) فلقد

---

(١) فالأول قوله « لاتظن يامعاوية الخ » والثاني قوله « وهذا أول الجور الخ »

أبت له نفسه المركبة من عناصر الفضل والفضيلة الا التجلي يوم صفين بجمال العاطفة والرقه والرحمة والعفو والإحسان ، كما قد أبى لعلي (ع) عرفانه بجوهر الفضيلة ، وما قد تلألأ بين جوانحه من علم وحلم إلا أن يقابل أخصامه بصدر واسع رحب ، إلا أن ينثر فوه من لآلي الكلام ما يكون خالداً بحكمته إلى الأبد .

تعال معي وانظر إلى كلام علي (ع) للأشعث لما حال معاوية بين علي وأصحابه وبين الماء ، فترى كلاماً يتمثل بكل لفظ منه وبكل حرف مافطم عليه أمير المؤمنين من جمال العطف والرقة والحنان ، ذلك حين قال له : إذهب إلى معاوية فقل له : ( إن الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه ) ؛ هذا وأيم الحق هو النبل ، وكرم الأخلاق ، وجمال العاطفة ، والترفع عن الدنايا .

يقف شاعر العروبة الاستاذ بولس سلامة على هذه النبذة التأريخية ، فيوحي اليه شعوره الحي لنظمها من جمان قريضه بماتبتسم له الليالي والأيام ، فيشير الى لؤم معاوية وخساسته ، وإلى نصيحة ابن العاص له ، وإلى كرم أخلاق علي الفاضلة وجمال عاطفته النبيلة ، ذلك حين يقول :

ملك الماء عسكر الشام يبغي [1] أن تجف الحياة في الظامئينا
فيموتون مثلما تيبس الأورا ق موت الكروم في تشرينا [2]
يالها من خساسة يابن هند آلم الطرس ذكرها تدوينا [3]
لم يطقها حتى أخوك هجين العاص عاراً ولو لئيما هجينا [4]
قال دعهم والماء رب ضعيف أو أجير أو صبية قاصرينا

---

(١) يبغي ، يطلب ومنه قوله تعالى « أفغير دين الله يبغون » يطلبون (٢) الكروم جمع كرم العنب (٣) الطرس بالكسر الصحيفة (٤) الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي ، ومن الناس من كان ابوه عربيا وأمه أمة غير محصنة ج هجن وهجناء وهجنان ومهاجين ومهاجنة ، والانثى هجينة .

وعلي يقول خــل فنستقي كراما فما لماء جينا
ولو سبقناك لم نحل بين ماء وشفاه لهــابة يلتظينـــا
« أتراه يموت ظماً وماء النهر يرويــ سباسباً وحزونا »[١]
« والحسام الجراز لوشام فــي المريخ ماء لانشق وبلاً هتونا »[٢]

* * *

أقحم الخيل في الفرات كماة[٣] يركبون المنون إذ يركبونا
وغدا المــاء للأمير فإن يعطه فسمحا وإن أبى فقمينا[٤]
صانه الله أن يحاول نصراً بسوى السيف قاضباً مسنونا[٥]
فدعاهم (أن اشربوا) عفو حر قد أعاد الحياة للغادرينا
شهد النهر ذلك اليوم شهماً[٦] كان ماشاء ربه أن يكونا
ولئيماً تقــاذفته الدنايا بل هو الدود منتناً أو دونا[٧]

---

(١) السباسب جمع سبسب المفازة ، وحزون كفلوس جمع حزن كفلس ما غلظ من الارض وهو خلاف السهل (٢) الحسام بالضم السيف القاطع وحسمه حسما من باب ضرب قطعه ، وسيف جراز بالضم أي قطاع ، والمريخ نجم من الخنس في السماء الخامسة ، والخنس هي النجوم الخمسة كما في الخبر البرجيس ، وزحل ، وعطارد ، وبهرام ، والزهرة ، وفسر البرجيس بالمشتري ، وبهرام بالمريخ ، وسميت بالخنس كما في قوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » لانها تخنس في مجراها وتكنس أي تستتر كما تكنس الظبا في المغارة وهي الكناس ، والوابل المطر الشديد وجمعه الوبل بالفتح فالسكون ، والهتون المطر المنصب الدائم التسكاب (٣) الكمي الشجاع المتكمي أي المتستر في سلاحه والجمع الكماة كقضاة (٤) للامير يريد به علياً (ع) والقمين الجدير ويقال أنت قمن أن تفعل كذا بفتحتين أي خليق وجدير ، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال الجوهري فإن كسرت الميم يعني قلت : قمِن بالكسر أو قلت : قمين ثنيت وجمعت
(٥) سيف قاضب أي قاطع وقضبت الشيء قضباً من باب ضرب قطعته فانقطع ، ومسنونا محدوداً تقول : سننته سناً من باب قتل احددته (٦) شهما يريد به عليا (ع) (٧) ولئيما يريد به معاوية، ومنتنا اسم فاعل ذو الرائحة الكريهة من انتن انتانا فهو مُنتِن بالضم ومِنتِن بالكسر كسرت —

ثم أعد النظر في الحوار الذي دار بين ابن العاص وبين ابن هند لما صار الماء في قبضة الإمام أمير المؤمنين (ع) وتحت سلطانه العادل، ترى ابن العاص في المقام قد شمت بمعاوية حيث انه قد محضه النصيحة من قبل فأباها معاوية منه، محضه إياها حين شرح له المحاسن التي كان يربحها معاوية لو كان قد اخلى بين علي والماء، لكن معاوية أنئذ أبى له عدائه لعلي (ع) وعماه عن الحق إلا أن يرى نصيحة ابن العاص وبالا عليه لا صلاحاً له.

لقد اعترت معاوية حالة منكرة لم تكن ترى عليه من قبل، وبدا في وضعه نوع من التبدل الغريب، وظهر في وجهه إمارات الفشل والإنكسار، ذلك حين رأى معاوية غلبة جند الحق على الماء، واستيلاء إمام البررة على الفرات، كمن عندئذ معاوية في كناسه، كناس المكر والخديعة والفجور، وأطرق برأسه إلى الأرض، قد ضربت عليه الذلة والمسكنة، وأخذ ينظر بأطراف عينيه إلى ابن العاص نظر المخطىء الجاني، حيث لم يقبل منه نصيحته تلك.

لقد مضى على معاوية وابن العاص ساعة من نهار في صفين، ساعة ملؤها السمر الشهي حين كانا يتناقلان فيها أطراف الحديث، ويتمتعان فيها بذكر ما قد اصبحا فيه من لذائذ الإمرة والسيادة، كان لهذه الساعة عندهما أثر بهيج، وقيمة ثمينة هي أغلى وأعز عليهما من أيام انسهما الماضي، لكن صفو الليالي لا يدوم (وعند صفو الليالي يحدث الكدر)، والسمر الغالي الثمين لا محالة يتبدل إلى ترح وآلام، فبينما معاوية قد أقبل بوجهه على ابن العاص، مستغرقا معه من ظرف الحديث ونكات الأخبار ما قد أنساهما السالف من رفاهية وسرور وإذا بمعاوية قد قطع حديثه وانحرف بكله عن ابن العاص، وصعد بنظره إلى جهة الفرات، ولم يمض على وضعه هذا بضع دقائق

---

— الميم اتباعا لكسرة التاء، ويقال ما أنتنه، والنتن بالفتح فالسكون الرائحة الكريهة من نتن الشيء بالضم نتونة ونتانة فهو نتين مثل قريب، ونتن نتنا من باب ضرب، ونتن ينتن فهو نتِن من باب تعب، ومعاوية كله نتن في نتن، وبجميع اعضائه ومشاعره منتن ونتن ونتين

حتى أمال بوجهه الى ابن العاص ، ينظر اليه مليا وهو واجم، قد ألجمته الذلة ، واسكته غيه وبهتانه ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه شبه المصاب الحزين ، ولو تُرك معاوية على هذا الحال الغريب لحشر بشقائه من صفين ، لكن ابن العاص عرف السبب الذي قد أزعج معاوية ، وأقلق راحته ، وكدر عليه صفو الحديث ، صفو تلك الساعة الانيسة التي هي أثمن عندهما من العمر ، لقد عرف ابن العاص ذلك السبب حيث نظر إلى تلك الجهة التي نظر اليها معاوية ، هي جهة الفرات التي قد تملكها معاوية من قبل ، نظر اليها ابن العاص واذا به يرى ما قد رآه معاوية ، يرى الأشتر بخيله ، والأشعث برجالته قد استوليا على الفرات ، لقد تهيج ابن العاص حين نظر إلى جهة الفرات ، كما قد تهيج معاوية قبله ، وانتفخت أوداجه غيظاً وحنقاً حين نظر إلى الفرات وهو يدوي بتكبير أصحاب علي (ع) يجاوب بعضهم بعضاً قائلين : الله أكبر ، لقد نصر الله الحق وأهله (عليا وحزبه) وخذل الله الباطل وأهله (معاوية وحزبه إن الباطل كان زهوقا) .

ولم يملك ابن العاص آنئذ نفسه أن نظر إلى معاوية فأحدق به بصره وهو لا ينبس ببنت شفة ، قد فاجأه شحوب واكفهرار ، وجعل يزفر مرة ويتنفس الصعداء اخرى ، ثم هتف بمعاوية .

ماهذه الداهية

إنها كما ترى يا ابن العاص

أجل إنها حال مؤلمة ، وقد بثثتك النصيحة من قبل حين أشرت عليك بالتخلية بين علي والماء . لقد صارت يا ابن العاص ، لاينفع الندم ، ولا يجدي التلاوم .

تبدلت تلك الساعة ، ساعة ذلك السمر الشهي وتناقل ظرف الحديث؛ واستقبلت معاوية وابن العاص ساعة اخرى، سوداء مظلمة، هي ساعة ينظر فيها معاوية وابن العاص إلى راية الأشتر تخفق على شاطىء الفرات ، بينما كانت راية أبي الأعور تخفق هنالك

من قبل آمنة مطمئنة ، بالهذه الساعة من ساعة اليمة تمر بشجاها على معاوية وابن العاص ساعة تحز في نفسيهما حزّ المواسي والشفار ، ساعة يتمنى فيها كل منهما تقطيع علي (ع) بالمدى إربا إربا ، وشرب دمه سائغاً كأنه عسل وسكر .

وكبر على معاوية وابن العاص استيلاء علي (ع) على الفرات ، وعظم عندهما حينما أبصرا أبا الأعور قد آب بجماعته عن الفرات مطروداً ، لقد ناضل أبو الأعور بخيله ورجاله عن الفرات ، وجاهد حتى النفس الأخير من جهوده ، لكنه لم يرَ الغنيمة إلا بالفرار والهزيمة ، ورأى أنه في نضاله هذا للأشتر كنملة تحارب فيلا ، يالها من حسرة قد شرق بمرارتها معاوية حين شاهد مع ابن العاص خيل أبي الاعور قد ولت هاربة ، لم تحمل على متونها إلا الخزي والمذلة ، والعار المؤبد لمعاوية بن أبي سفيان .

شرعت نفس معاوية توحي اليه في هذا الحال أنواع الوساوس ، وتنفث في روعه ما هنالك من خيال متلون حول مصيره والجند فيما إذا حال علي (ع) بينهم وبين الماء كما صنعوا ذلك معه بادىء بدء .

وكان من إيحائها له « ماذا صنعت يامعاوية ، وماذا جنيت على نفسك وعلى جندك ، وأنى لك بالماء وهذا أبو الحسن علي بن أبي طالب قد تملك الفرات كما ترى ؛ ذاك علي يامعاوية قد أحكم قوته على الفرات ، فإن شاء أخلى بينك وبينه ، وذلك منه لطف ومنّة ؛ وإن شاء أظمأك ، وذلك منه ليس بتقصير ولا ظلم ، ولا لوم عليه عندئذ ولا إنكار ، إذ أنت يامعاوية قد ابتدأته بالإساءة حين حلت بينه وبين الفرات فقبحاً لك يامعاوية ولؤماً ، ما أنت بعربي شريف ، ولا بمولى كريم ، ولا من ظهر أبيك صخر ، حين ارتكبت تلك الجريمة الموبقة مع أبي الحسن علي بن أبي طالب »

لقد جاش هذا الحديث في نفس معاوية ، ومضى عليه آنات من الزمن يردده مرة بعد أخرى ؛ وهو مكفهر عابس ؛ وأصبح فضاء صفين أمام عينيه قطعة من السواد الحالك

وأخذ بدير بصره في معسكره ، مفكراً فيما قد نزل به من تلك الكارثة الكبرى ، من تملك علي للماء ، واستيلائه عليه بلا منازع أو معارض .

ومعاوية في هذا الحال في فرق شديد قد ألم به ، وفي بلبال من فكر قد اكتنفه ، ينظر في وجه ابن العاص مرة ، ثم أخرى إلى معسكره ، ثم يرجع إلى نفسه يلومها ويندبها حظه الأنعس كيف قد فرغت يده من الفرات وكيف لم يهلك علي وأصحابه ظمأ بحر الأكباد .

ثم يحدق معاوية بصره فوق معسكره فيتراءى له كأن أسراباً من الذباب قد خرجت من مخبأها ، فخيمت على معسكره وأحاطت بسرادقه ، ليس لها قصد إلا إهلاكه كما قد أهلكت النمرود وعساكره من قبل .

هكذا كان يتراءى إلى معاوية يوم صفين إذ أنه يعلم بأنه ظالم لعلي (ع) ، وغاصب لهذا الأمر بلا ريب . كذلك ابن العاص قد جال في خاطره ماجاش في نفس معاوية من ذلك الحديث ، وأصبحا في حيص وبيص ، وانحصر أمر حديثهما حول الماء إذ فيه حياة الجند ، جند الشام ، الذي يعتمد عليه معاوية في إمرته ونفوذه وحربه للإمام علي (ع) .

واستمر ابن العاص في حديثه مع معاوية يوجعه لوماً وتأنيباً ، ويقرعه بسياط من كلامه الحاد ، قائلا له : « يا معاوية ماظنك إن منعك علي الماء كما منعته أمس ، أتراك ضاربهم كما ضربوك » يعلم ابن العاص ما قد انطبع عليه الإمام أبو الحسن من الحلم وسخاء النفس ، وما قد عُرف به من قوة العاطفة ومزيد الرأفة والرحمة ، ويعلم ابن العاص على الخصوص بأن عليا (ع) بعد أن ملك الماء لا محالة بأنه سيترفع عن منع معاوية وأصحابه عنه وسيبيحه لهم بلا ريب ، وإنما قول ابن العاص لمعاوية « أتراك ضاربهم كما ضربوك » استفهام سخرية وتهكم ، وكأن ابن العاص يقول لمعاوية : فعلي

فرض أن منعك علي الماء ، مقابلةً لك بالمثل ، فماذا تصنع ، فهل عندك من جرأة الجنان و كامل الإهبة والإستعداد لضرب علي وأصحابه ، واسترجاع الماء منهم ، كما قد ضربوك حتى أرجعوك وأصحابك عنه الى الوراء أذلاء صاغرين

لقد سمع معاوية هذا الطراز الحاد من كلام ابن العاص ، سمعه وكله تلهف والم ، سمعه ونار العداء لعلي تستعر بين جوانحه ، سمعه وهو مشرئب بنظره الى راية الأشتر خفاقة على الفرات ؛ كادت نفس معاوية أن تذوب حسرة و كمدا ، عند ما ضرب ابن العاص سمعه بقوله « ماظنك إن منعك علي الماء كما منعته أمس » ومضي معاوية بعد ما سمع هذا من ابن العاص ؛ يضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ويزفر عن براكين من نار ، حين لوّح له ابن العاص بقوله ( إن منعك الماء ) ، يسمع معاوية من ابن العاص بذكر منع علي له من الماء ، يالها من مصيبة كبرى تطأ خده ، إنها القيامة على معاوية لا سواها ، لا يرتقب معاوية آنئذ الا القتل أو الفرار ، والفرار أحب اليه وألذ في سبيل النجاة .

أوهام تتراكم على فكرة معاوية ، وخيالات تترى فتسد الافق بين عينيه ؛ وبماذا معاوية يا ترى يجيب ابن العاص .

أجل يتأمل معاوية لحظة لا اكثر ، يستوعب فيها النظر بما يكون من علي (ع) معه ، هل يمنعه من الماء كما منعه ، فيقول في نفسه ؛ لا ، ولم يامعاوية ، لأن عليا يترفع عن الدنايا ، ويستقبح على الخصوص منع معاوية وأصحابه عن الماء ، يامعاوية وإنما علي بخلقه وخلقه مثال النبل والكرم والعاطفة ، ثم يرفع معاوية إلى ابن العاص رأسه فيقابله بابتسامة خفيفة تنبئ عن حياة معاوية الجديدة .

لا ريب أن ابن العاص يستغرب هذا الوضع في معاوية ، ولا يعلم ما قد نتج لفكرة معاوية بذاك التأمل الوجيز ، وماذا قد حكم به معاوية من أمر علي بالقياس

إلى منعه له عن المـاء ، سوى ان ابن العاص يرى أسارير وجه معاوية طافحة بالبشر ، فيستنطقه ثانيا « ما ظنك يا معاوية إن منعك علي المـاء كما منعته أمس ؛ أتراك ضاربهم كما ضربوك » .

يبتسم معاوية إلى ابن العاص مرة أخرى ، ثم يبتدره بقوله : « دع « يا ابن العاص » مامضى عنك فإن عليا لا يستحل منك ما استحللت منه ، وإن الذي جاء له غير الماء » .

ثم يسكت معاوية وابن العاص عن هـذ الكلام ، ويقفلان باب الحديث بذكر شأن الماء ، ثم ينهضان قائمين لينظرا ما يكون من الامام علي ( ع ) في أمر الماء وهل يتجرأ من معسكر الشام أحد فيردِه ، لكن معاوية كان قد سبق منه الإنذار لعامة معسكره أن لا يدنوا إلى الفرات منهم أحد ، أمن المحاربة كان ، أم من الاجراء والعبدان ، أم من الضعفاء والإماء ، وأبلغ معاوية هذا الإنذار لجميع قواد جيشه ، وأبلغه القواد لمن كان تحت قيادتهم من قطع الجيش .

وقف معاوية وعمرو بن العـاص على مرتفع من الأرض يوم صفين ينتظران ترخيص الإمام أبي الحسن بورود جيش الشام على الماء ، و كذلك أصبح قواد جيش معاوية وسائر أفراد جيشه على هذا الإنتظار ، وخصوصا الضعفاء منهم والنساء .

قرب الفرج لجيش معاوية ، وأعلن علي ( ع ) لمالك الاشتر ولغيره من سائر أمراء جيشه ( ع ) وقواده ، أن لايتعرض منهم أحد لجيش معاويه بشأن الورود على الفرات .

أصدر علي ( ع ) أمره الإداري بذلك ، وأمر مناديه الخـاص فهتف بصوت جهوري حاد يسمعه من في أول جيش معاوية وآخره ، هتف أن هلموا يا أهل الشام جميعا إلى الماء فقد أباحه لكم الامام أمير المؤمنين أبو الحسن .

وإلى هنا انتهى الكلام على ما كان بين معاوية وابن العاص من حوار و على ما كان بعد ذلك من تجلي علي بمثالية العاطفة في فضاء صفين ، وتوزيعه لجنى ثمراتهـا على

معاوية وجند الشام، كما قد نجم المقام « بـلا ريب » عن سمو نفسية علي (ع) في عالم الفضيلة .

وختاما لهـذه الاسطوره من تاريخ علي النبيل فإني أزف إلى القراء الكرام « تعطيراً للنفوس وتنويراً للأفكار » ، بعض ما أفاضته عبقرية شاعر العروبة ، الاستاذ بولس سلامة في مديح الإمام أبي الحسن ، حين يقول :

مصدر الحق لم أقل غير حق          أنت أجريتـه على شفتيـا
أنت ألهمتني مديح علي          فهي رفرف البيان عليا
جل رب الوجود باري البرايا          أن يُرى في حنانه حزبيـا
إنما الخلق كلهم لعيالُ الله ، والشهم من يكون تقيـا
فيولي عن الظلام منيرا          كل من راح في الظلام غويا
تاركا بعده من الخير دنيـا          ومن الذكر هيكلاً سرمدياً
هكذا كان صهر أحمد يفضي          نبله ملْ سرحة الدهر فيـا
هو فخر التاريخ لافخر شعب          يدعيه ويصطفيه وليا
ذكرُه إن عرى وجوم الليالي          شقَّ من فلقه الصباح نجيا
لاتقل : شيعةٌ هواةُ علي          إن في كل منصف شيعيا
إنما الشمس للنواظر عيد          كل طرف يرى الشعاعَ السنيا
يا علي العصور هـذا بياني          صغتُ فيه وحيَ الإمام جليـا
أنت سلسلت من جمـانك للفصحى ونسّقتَ ثوبها السحريـا
يا أمير البيان هذا وفـائي          أحمدُ الله أن خلقتُ وفيـا
أنا من يعشق البطولة والإلهامَ والعدلَ والخلاق الرضيا
فإذا لم يكن علي نبياً          فلقد كان خلقه نبويا

أنت رب للعالمين إلهي فأنلهم حنانك الابويا
وأنلني ثواب ماسطرت كفي فهاج الدموع في مقلتيا
سفر خير الأنام من بعد طه ماراى الكون مثله آدميا
ياسماء اشهدي ويا أرض قري واخشعي إنني ذكرت عليا[1]

### علي (ع) يشرف على الوجود بمحياه الازهر
### كتاب (ملحمة الغدير)

يا أبا الحسن لقد عطّر الطرس ذكرك المتألق في كل عصر ، والبس العقول فضلك و كمالك جلبابا من نور ، وخلع على النفوس علاك وعلياك أبراداً من عرفان الحقيقة ، فكان الطرس زاهيابفضلك مدى الدهر ، والعقول يلمع من كمالك وجمالك لن تضل أبداً ؛ كما قد أصبحت النفوس حية رشيدة بسنا من علاك المزدهر .

أبا الحسن ؛ وأينما تمد الشعراء اليك طرفها فهي حسرى كليلة ، لا تستطيع النهوض لتمثيل النزر من أوهاج فضلك المتسامي ؛ و كلما أتت على نظم وهج من هذه الأوهاج فإنها ترى أمامها سواه ، ترى أوهاجا تتلألأ ، تخطف اللب والبصر .

وانما شاعر العروبة الفذ ، الاستاذ بولس سلامة ، ممن أحسن وأجاد ، وأبدع وأحكم بنظمه المسبوك ، ذلك حين لمت هاتيك الأوهاج بأسلاكها النورية في نفسه الحية ، وحين اتخذت لها من شعوره الحر ظلا ظليلا ، فأصبح هذا الشاعر الفريد يرددها لحناً فلحنا ، ويلبسها من حلل قريضه السندسية ما به فخر العروبة ، ولبنان ، و كنائس النصارى خاصة .

فاهنأ أيها الاستاذ المحلق ، بكتابك الخالد « ملحمة الغدير » ، هذا الكتاب النادر ، الذي انتجته شاعريتك النبيلة ، وأحكمته فاكرتك الوقادة ، فكان أشد

---

(١) من كتاب ملحمة الغدير

إحكاما بلفظه ومعناه من إحكام ارسطو لأخلاقه ، ومن سقراط لحكمته ، وبه دلالا وظر بأجنحة الفخار إلى مافوق الثريا ، حين نظّمت كتابك هـذا بطراز باهر من قريضك البديع ، فكنت به ، وعزة الحق ، أمير الشعراء « لاشوقي ولا حافظ » وسيدهم على الاطلاق ، وكان كتابك « ملحمة الغدير » درة متقدة في جيد الدهر ، أو عروسا تتجلى في كل عصر ، وها هو كتابك اللامع ، كلما نظر اليه الناظر فانما ينظر إلى رياض يزينهـا أنواع الورد والنرجس والياسمين ، أو الى منبت براق يشع عن صنوف اللؤلؤ والمرجان ، أو الى معدن كله ذهب ولجين .

ولك أيهـا الاستاذ الكريم من الفضيلة شرف الذكر المخلد ، ومن الله تبارك وتقدس جزاء المجاهر بالحقيقة ؛ ومن الامام أبي الحسن ما تكون به منعّم الروح والبدن .

اذ أن عليا (ع) يشرف على الوجود بمحياه الأزهر من كتاب (ملحمة الغدير) .

ويطلع شاعر العروبة الاستاذ بولس سلامة في سماء لبنان ؛ يطلع ومعه من نبوغه اللامع ما قد أصبح به سيد هذا البلد العربي الكريم ، سيده ومليكه بشعره السحري ونثره الرائع .

ويبدو شاعرنا الاستاذ في هذا الروض الزاهي « لبنان الجميل » وأمامه من شعاع فاكرته النبيلة ما قد شاهد به كومة وضاءة من لآلئ الفضيلة .

وينتقل هذا الشاعر العربي بخياله السارح من مرتع إلى مرتع ؛ إنما هذا وذاك من مراتع فن الجمال ، ذلك الجمال الطبيعي الذي قد انتظم به جمال الفضيلة ، وزهت به رفعة إلى ما فوق أطباق السماء .

يرى شاعرنا الاستاذ بشعوره الحي ، وبمنظار فكره الوقاد رجلا هو بصفات البشر من حيث الاعضاء والجوارح والالوان البشرية لكنه من الملائكة ، ومن أعاظمها المقربين ، من حيث الكمال النفساني ، والتأله الرباني ، من حيث العلم الغزير

الطافح ، والفضل الجلي الباهر ، من حيث القداسة والزهادة ، والبر والإيثار ، والعدل والتواضع .

إنما هذا الرجل هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

ويتطلع شاعرنا الاستاذ في قلب العالم البشري ، وفي ولد آدم أجمع ، يتطلع ليرى ضالته المنشودة التي قد تمحضت بكمال الذات ، وطهارة المبدأ ، والتي قد أنارت الوجود بلألاء من أضوائها المستطيلة ، يتطلع فيرى أمامه تلك الشخصية الفذة ، شخصية أبي الحسن ، يراها بأبهى منظر ، وأكمل شكل ، يراها وهي تعشي الناظرين بلمع من فضائلها الغر التي لا يأتي عليها حصر أو عد .

أجل إنما يرى شاعرنا النابغ رجلا ساد الأوائل والأواخر ، وفاق كل ذي فضل وفضيلة ، وسما بمواهبه الروحية إلى ما فوق الشمس والقمر ... يرى رجلا قد جمع فأوعى ، من أصناف الفضيلة ، ومن شذرات المحاسن ، ولآلىء المناقب ... يرى رجلا لا يحمل بين جوانحه إلا العلم والحلم والتقى ، ولا يسير في مجتمعه إلا بالعدل والإيثار والعاطفة ... ولا يتمثل على لسانه إلا الحق والصدق ، ولا يفتح شفتيه إلا عن نثر الكلام الحكيم ، ولا يدين الله تعالى والإنسانية إلا بما دان به الأنبياء والرسل من قبل .

إنما هذا الرجل بلا ريب هو الإمام علي (ع)

ينظر شاعر العروبة الاستاذ بولس سلامة في صفحات الكتب ، ويجيد فيها الاستطلاع ، ليتعرف الحقيقة ، وليصل إلى ما به مجد بني يعرب ، وفخار نزار وعدنان ، وعز ربيعة ومضر ، ويُرسل أستاذنا الكريم نظرة من نظراته العميقة في رجالات الصحابة ، ويزن بميزان فكره الدقيق أعمالهم في سبيل إشادة الدين ، واصلاح المجتمع ، وغمر الوجود بلطف الفضيلة ، وتنوير العقول ، وصقل الاذهان ،

برسالات البيان الفصل ... يقوم شاعرنا بإعمال هذا الوزن ، وإرسال تلك النظرة وذلك الاستطلاع ، فلا يرى امام عينيه في هذا الفضاء الواسع وفي تلك الأسفار القديمة والحديثة إلا الإمام عليا (ع) ... يراه « وأيم الحق » أشد ضوءاً من الشمس يراه شعلة متقدة من ذلك النور البهي الذي قد استولى على مشاعر الكليم موسى بن عمران حين كان على طور المناجاة ... يراه بلا ريب هو ذلك المثال القدسي الذي قد تكوّن منه السيد المسيح عيسى بن مريم حين نزل وحي السماء فتمثل لها بشراً سويا

هذه نواح نبيلة إلى الغاية في الإمام علي (ع) قد تجلت نيرة باشراقها الباهر أمام شاعر العروبة الاستاذ بولس سلامة ، فدفعته لأن يتحف العالم البشري بخريدة من خرائد شعره الذهبي ... إن شاعرنا الاستاذ دقيق النظر ، تثير نفسه الإنصاف والعدالة ، إنه يحمل ضميراً بريئا من عمى العصبية ، إنه ذو شعور حي ، ينظم فيجيد النظم كل الاجادة ... ترى شاعرنا الاستاذ يتجلى على ربوع لبنان الأشم بلمع من شعره المحكم ، ذلك حين يقول في مديح الإمام أبي الحسن (ع) .

تعب القفر من أناة الساري (١) اذ أتى النسر ساحة الأنصار
وأبى أن يكون ضيفا فراح الليثُ يرتاد مهنة الأكار (٢)
يغرس النخل عاملا ويُخلي للعشاء الهزيل أجر النهار
ويعود المساء ، والصدرُ وحل عرق الكد لاصق بالغبار
حسبه الدرهم الرخيص فلم يحلم عليٌّ بصفرة الدينار
تحمل الرفش كفه وهي كف صاغها الله للشؤون الكبار
لليراع النضير (٣) للخيل تجري لقناة السمراء للبتار

(١) الأناة الرفق والتمهل من تأنى في الامر ترفق وتمهل ، والأناة الحلم أيضا (٢) الأكار الحراث والزراع . ج أكرة بثلاث فتحات (٣) اليراع القصب وقلم الكاتب . والنضير من النبات والوجوه والألوان . الناضر الذي له رونق وطراءة ، من نضر بالفتح إذا نعم وحسن ولطف

هي محق للغادرين وحرب ... وبلاء يحيق بالأشرار
تمطر الموتَ والصواعقَ وبلا ... فتميدُ الغبراء بالفجار
أيُّ كفٍ من جبهة الصخر قدت ... هي أسطى من صولة الأقدار
تبعثُ الرعبَ في الجماد فتهوي ... شاهقاتُ الحصون والأسوار
حسبها أن تسله مشرفيا ... فتطلُ المنونُ من ذي الفقار
قل: هو الله أكبر إن سيف الله يزهو بفارس من نزار
حطه في رفرف [1] الخلود جناحاً ... يلبس المسلمين هالة غار [2]
تلك كف لم يعلق اللؤم فيها ... وتسامت عن الهوى والصغار
إنها الشمس في الضحى لم تدنس ... يعصم الله أن تهم بعار
تقطر الخيرَ للفقير وتهمي ... وتزف السلام للأخيار
يبذل المالَ لليتامى فقير ... ويلف العطاء بالأستار
كسخاء الحمامة الأم تهدي ... فرخها الرخص حبة المنقار [3]
من يجد من خصاصة مستجنا [4] ... فالعطايا هدية للباري
تلكم الكف تسطرُ الوحي ... فالقرطاس كون يشع بالأنوار
بينها (النجم) (والضحى) (وبروج) ... (وانشقاق) يجيءُ بعد (انفطار) [5]
هذه الكف للمعارف باب ... مشرع من مدينة [6] الأسرار

(١) قوله تعالى « رفرف خضر » قيل الرفرف رياض الجنة وقيل هي البسط بضم الباء والجمع رفارف (٢) الهالة الدائرة النيرة التي تظهر أحيانا حول القمر ؛ الغار الكهف • ومن الفم الأخدود الذي بين اللحيين وهو داخل الفم • والجمع الكثير من الناس • وضرب من الشجر دائم الخضرة له ورق طويل طيب الرائحة ج غيران بكسر الغين ، وأغوار (٣) الرخص الناعم اللين (٤) استجن عنه استتر (٥) هذه عناوين لسور خاصة معروفة في القرآن الكريم (٦) إشارة الى قوله ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها »

تنثر الدرّ في كتاب مبين سفر (نهج البلاغة) المختار
هو روض من كل زهر جني أطلعته السماء في نوار
فيه من نضرة الورود العذارى والخزامى والفل والجلنار[1]
في صفاء الينبوع يجري زلالاً كوثراً رائقاً بعيد القرار
تلمح الشط والضفاف[2] ولكن يالعجز العيون في الأغوار

يتفنن شاعرنا الأستاذ في سيرة علي الحكيمة، فيحكم التفنن، ويبرزه بأحسن قالب للعيون، وأرق ما يكون من نظم تصغي اليه الأسماع وتستلذه وتعيه.

وينظر شاعرنا بمنظار ذكائه الى الأسرار الدقيقة التي بنى عليها الامام أبو الحسن (ع) مناهج خطواته في هذه الحياة؛ هي تلك الأسرار التي شرعها علي (ع) بفعله وقوله لأئمة المسلمين، ولولاة الأمر؛ ولقادة الأمم، ولزعماء الشعوب، في الشرق والغرب في كل زمن، إلى انفطار السماء، وخسوف الشمس والقمر ... ينظر شاعرنا إلى هذه الأسرار فيراها أسراراً حكيمة، خطيرة الأثر، تتمشى مع كل عصر، وتسير في كل مجتمع سيراً يعقبه صلاح المجتمع وانتظامه. ويتصفح شاعرنا الأستاذ وجوه التاريخ، ويقلبه ظهراً لبطن، ويغوص بفكره فيما قد أثبته علماء الحديث ورواة الأخبار من احوال الامام علي (ع)، ثم يرفع رأسه؛ ويجلس جلسة المفكر اللبيب، ويدير بوجهه يمنة ويسرة وإلى الملكوت الأعلى، وهو معجب بوضع علي الحكيم، ومكبر لسيره النبيل، يراه ناسوتي الجسم، لاهوتي الروح، يراه مثالاً من نور،

---

(١) الخزامى كحبارى نبت من نبات البادية أطيب الأزهار نفحة لها نور كنور البنفسج قال في ق والتبخر به يذهب كل رائحة منتنة .. والفل بكسر الفاء شجر بستاني ذو زهر أبيض صغير مستدير طيب الرائحة، الواحدة فلة .. والجلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهرة الرمان، معرب قاله في ق (٢) الشط جانب النهر الذي ينتهي اليه حد الماء، والجمع شطوط. والضفة بكسر الضاد من النهر والوادي جانبه. ج ضفاف

ورمزاً من نور ، لما قد أبدع الله تعالى من جمال فائق ، وكمال ليس له حد، يراه مثالاً مجسماً من جوهر البر والخير والصلاح ، متدفقا بضروب العلم والعرفان، يراه مثال الإبداع بمنطقه الذهبي حين يرسل (ع) كلماته بألذ من مزامير داود النبي (ع)

إن شاعرنا الأستاذ حر الضمير ، يبحث بدقة وروية ؛ ليستخرج اللباب ، و ليبين الحق الذي يجب المصارحة به على كل ذي حس وشعور ، على كل ذي علم وادب ، على كل ذي مكانة اجتماعية .

ويسرح شاعرنا الاستاذ بفكره الواسع ، ويمشي على لمع من فكره السارح ؛ باحثاً عن أعظم شخصية حملتها الأصلاب الكريمة ، وأرسلتها الأرحام الطاهرة إلى هذا العالم ... باحثا عن أكبر انسان حضنته الفضيلة ، وغذاه الكمال ، وتقلب على خمائل العز والرفعة والإباء ... يبحث هذا الشاعر المبرز عن هذا الانسان فيعطيه بحثه شخصية الامام علي (ع)، ويوصله الى هذه الشخصية الفذة فيلمسها بيديه لمس العارف الخبير ، فيراها، لا سواها ، هي الشخصية العالمية التي يجب على سائر الشعوب والأمم أن تجعلها مرآة أعمالها الحيوية، أن تجعلها مقياساً لكل نبل ولكل خلق كريم ؛ ودليلا لكل ضال تاه عن الطريق السوي ... إن علياً (ع) هو الدليل الأبلج لمرتاد الفوز والسعادة لمرتاد العيش الهني الرغيد، لمرتاد الكمال النفسي البهيج ، لمرتاد الجمال الأزلي الوضاء

يبصر شاعرنا الاستاذ شخصية الامام علي (ع) وهي تتقد بمشاعل الفضيلة من سائر نواحيها بأشد من اتقاد ذكاء السماء ، يبصرها تتقد في ذلك العصر الذي قد ساد به الهرج ، ودب به النفاق والحسد ، ونشبت فيه الفتن بين المسلمين وعلا به صوت ، من أضمر الخلاف والشقاق ، والايقاع بأبي الحسن ... يبصرها وهي تغدو وتروح عاملة في سبيل إنعاش الروح الاسلاميه ، في سبيل شد أواصر المهاجرين والأنصار؛ في سبيل إحيائهم من جديد لدين الله الحنيف ، في سبيل الأخذ بأيديهم الى مستوى

العلم الصحيح والى ما تكون به النفس سعيدة ، في سبيل سد ما بهم من عوز ، وإغنائهم بما تقوم بإنشائه يداه (ع) من غرس زكي يسر الناظر ، ويبهج الروح ، ويروي غليل الظامئ

دقق شاعرنا الاستاذ في بحثه مابين هاتيك الصحائف التاريخية فرأى الامام عليا (ع) وليد الفضيلة ، وفي شخصه تتجلى الفضيلة زاهية مزدهرة ، رآه وليد الفصاحة والبلاغة ، وعنهما تلمع ثناياه بأحسن من اللؤلؤ المنثور ، رآه وليد المعارف ومكارم الاخلاق ، رآه فياضاً يتدفق بحكمة النفس ، وعلم المبدأ والمنتهى ، رآه سيداً واميراً على الإطلاق ، رآه مسالماً متغاضيا عماله من حق مفروض في سبيل إصلاح الأمة وصلاحها وحفظ بيضة الدين الإسلامي القويم .

إن شاعرنا الاستاذ من أولئك المنصفين الأكابر ، الذين مالوثوا ضمائرهم بالأنانية ولامال بهم الهوى الى العصبية .

لقد قام شاعرنا الاستاذ بجولة فكرية في بطون الكتب ، وأجرى المقاييس المنطقية في ترتيب النتائج والثمرات لما وقف عليه من حقائق ... رأى شاعرنا الاستاذ لزاماً عليه القيام بهذه الجولة ، لزاما في عنقه إذاعة ونشر ما يحصل من بعد هذه الجولة من أثر ونتيجة ... لقد مخض شاعرنا بهذه الجولة الفكرية تأريخ حياة الإمام علي (ع) العلمية والعملية ، مخضها مخضا دقيقا ، وأحد النظر في كل ما هنالك لها من ناحية جديرة بالنظر ، جديرة بالغربلة والتحميص ... وانتهت بالشاعر الاستاذ جولته هذه فإذا به يرى تأريخ حياة علي (ع) كلها نبلا في نبل ، يراها محض صلاح للامة الاسلامية ، ونوراً للدين المحمدي الحنيف ، ورقيا للمجتمع البشري بأسره ، يراها خير دروس وتعاليم مثلتها الأنبياء والرسل في أممهم ، وأبهى ابتداعات حكيمة قام بإبانتها فلاسفة الشرق والغرب .

لقد صور شاعرنا المبدع نبل ما قامت به كف علي (ع) من الأعمال الرفيعة ، صور هذا النبل من جهات . من حيث غرس النخيل في المدينة المنورة بعد هجرته (ع) لها ، ذلك ليري (ع) المجتمع الانساني في شرق الأرض وغربها عز العمل ، وشرفه ، ونفاسته ، ليريهم خطر الغرس وعظمته ، وأن بالغرس حياة المآت والالوف ، والغنى عن الناس ، ليريهم أن المرء لا يحسن منه أن يكون كلا على الناس وهو قادر على العمل ولا يجمل بوضعه الأدبي الاجتماعي أسواء كان جليلا أم وضيعا وخصوصا إذا كان كبيراً في العيون ومن بيت مجد وشرف ورآسة كالامام علي (ع) لا يجمل به أكان كذا أم كان كذا أن يكون ثقلا على الناس ، لا على الأقربين منه أو البعيدين عنه ، ولا على خلانه أو جيرانه ، ولا على أهل بلدته أو النائين عنها ... يري الامام علي (ع) بغرسه النخيل في يثرب كل من يمشي على رجلين ، وكل من يتنفس تحت السماء أن المرء لا يجمل به بكل وجه عقلا أن يكلف الناس مؤونته وهو يستطيع أن يكفي نفسه بعمل تقوم به يداه ، غرساً كان ، أم زرعاً ، أم غيرهما من متفرق المهن .

لقد صور شاعرنا الاستاذ كف علي (ع) من هذه الناحية ، ناحية القيام بمهنة الغرس بعد حلوله (ع) في المدينة مهاجراً اليها ، ذلك حين قال :

تعب القفر من أناة الساري إذ أتى النسر ساحة الانصار
وأبى أن يكون ضيفاً فراح الليث يرتاد مهنة الأكار
يغرس النخل عاملاً ويخلي للعشاء الهزيل أجر النهار
ويعود المساء ، والصدر وجل عرق الكد لاصق بالغبار
حسبه الدرهم الرخيص فلم يحلم علي بصفرة الدينار
تحمل الرفش كفه وهي كف صاغها الله للشؤون الكبار

ما أجود هذا التصوير ، وما ألطفه وأرقه ؛ تصوير بديع ، بلغ كمال الحسن

بلفظه ومعناه؛ إنه سهل ممتنع، لقد صدق المثل الحكمي حين جاء « إن من الشعر لحكمة » ... وهذا شعرك البديع أيها الاستاذ النابغ كله حكمة حين أعطانا صورة من نور لناحية جسيمة من نواحي علي النبيلة ؛ هي ناحيه القيام بعملية الغرس ، رياً للنفوس ، وتنعيماً لها بما يكون للغرس من ريع زكي وثمر جني ؛ ولكي تصبح الأرض بعملية الغرس خضراء نضرة تأنس بمنظرها العيون ، وترتاح اليها الأفئدة بما يتجلى فيها من عرائس النخل الجميل ... يغرس علي (ع) النخل بيده ليكون هذا العمل النبيل منه وائداً لتعمير الأرض الخالية ، لتعميرها بحدائق النخيل ، بحدائق الغرس من أي صنف كان من أصناف الشجر المثمر .

بوركت يا أبا الحسن بأعمالك وأقوالك، فكلها تعاليم خير ونفع لسائر المجتمعات البشرية مدى الدهر والزمن ... وتلك كلمتك السائرة يا أمير المؤمنين « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » لقد أصبحت كلمتك هذه يترنم بلحنها كل ذي فهم وذكاء ، كل ذي علم وأدب ؛ حين شرعت لنا هذه الكلمة النبيلة لزوم الجد والعمل بأقصى ماهنالك من حد بعيد للأمل ، شرعت لنا ذلك في سبيل الترفع عما في أيدي الناس وعدم النظر اليه بذلة ومسكنة ، في سبيل أن يحفظ الانسان مكانته الأدبية ، وكرامته في نفوس أبناء مجتمعه .

فهذه ناحية هامة من نواحي تأريخ حياة علي النبيلة قد صورها لنا شاعرنا الاستاذ بأجلى ما يكون للأبصار ، حين زف لنا ذلك الطراز من شعره الذهبي اللامع ، كما قد صور لنا أيضاً نبل ما قامت به كف علي (ع) من نواحي أخرى عديدة ، يتمثل فيها شرف النبل المتألق ، وجمال الفضيلة الزاهر ، ذلك حين صاغ الله تعالى كف علي (ع) للشؤون الكبار من قبل إيجاد الخليقة البشرية ، ومن قبل دحو الأرض ورفع السماء ، ومن قبل أن يسجد لله سبحانه ملك ... لقد صور لنا شاعرنا هذه الشؤون الكبار

بنظم محكم من شعره الناعم الرقيق ، ذلك حين عددها بقوله الا نف :

لليراع النضير ، للخيل تجري لقناة السمراء ، للبتار
فهي حق للغادرين وحرب وبلاء يحيق بالأشرار
تمطر الموت والصواعق وبلا فتميد الغبراء بالفجار

الى أن قال مشيراً إلى فضيلة الكرم التي قد مثلها الامام علي (ع) خير تمثيل ؛ وحين كان يؤثر على نفسه البؤساء والمحاويج بما ملكت يداه من عرض الدنيا البائدة أشار الى هذه الفضيلة بقوله الآنف

تقطر الخير للفقير وتهمي وتزف السلام للأخيار
يبذل المال لليتامى فقير ويَلف العطاء بالاستار
كسخاء الحمامة الأم تهدي فرخها الرخص حبة المنقار
من يجد من خصاصة مستجنا فالعطايا هدية للباري

الى أن قال مشيراً إلى أنه (ع) كان كاتب الوحي الإلهي بين يدي النبي (ص) تلكم الكف تسطر الوحي فالقرطاس كون يشع بالأنوار

كما قد أشار إلى أنه (ع) عيبة علم النبي ، وخازنه ، ومستودع أسراره ، أشار الى هذا بقوله الآنف

هذه الكف للمعارب باب مشرع من مدينة الأسرار

إن شاعرنا الاستاذ يجيد الوصف والبيان ، ويتقن السبك والترتيب ، ويبرز لنا شعره في الامام علي (ع) بأبهى حلة ، وبألذ مايكون للأسماع ، وبأشهى ماترتضيه النفوس ، ذلك حين أشار الى نهج البلاغة ، ذلك الأثر الباهر ، والسفر الجليل الذي قد أعيى الألباء ، وتاهت في بحار دقائقه عقول البشر ، أشار شاعرنا الى هذا السفر النفيس بقوله الآنف

تنثر الدر في كتاب مبين سفر نهج البلاغة المختار
هو روض من كل زهر جني أطلعته السما في نوّار
فيه من نضرة الورود العذارى والخزامى والفل والجلنار
في صفاء الينبوع يجري زلالاً كوثراً رائقا بعيد القرار
نلمح الشط والضفاف لكن يالعجز العيون في الأغوار

ولله أنت ياشاعر العروبة حين تبعث الينا برسالات شعرك المنظوم في تعداد ما للأمام علي (ع) من غر الفضائل والمحاسن؛ هي تلك الفضائل والمحاسن التي اصطفاها المبدع الحكيم فأفرغها في شخص علي حللا وهاجة .

تبعث برسالات شعرك من ربوع لبنان الزاهي الأغر، تبعث بها في مديح الامام علي (ع) من معتلى هذا الجبل النضير ، إلى هذا العالم ليكون سعيد الروح والبدن باتخاذ هذا الامام الأكبر معتصما، ومنهلا عذباً زلالاً ، ومرجعا في أمور المعاش والمعاد .

تبعث بهذه الرسالات القيمة وأنت على فراش الألم ، تبعث بها فتكون بألطافها ونكاتها الحكيمة رياً للنفوس الظامئة .

إن رسالاتك هذه أيها الشاعر الكريم عرائس تتجلى حين ينسجها فكرك، وينثرها فوك ، وحين تشع بأنوارها الذهبية على ربوع لبنان ، وعلى جباله الشاهقة ، وحين تمتد بأسلاكها النورية فتخترق أحراجه النضرة ، وأوديته العميقة ، المزينة بخرير الماء الصافي ، وروائح النبت الجميل .

إن رسالاتك هذه عرائس هي من أبهى العرائس التي تملأ القلب بهجة وارتياحا، ومن أجمل العرائس منظراً متلألأ سنيا ، إنها ليست من عرائس ظبيات الإنس ، ولا من عرائس بنات حوا ، أجل ؛ إنها عرائس صيغت من لؤلؤ الفضيلة ، وجمان الخلق الكريم ، وجوهر العلم والحلم والبر والسداد ، لقد زهى بسنا هذه العرائس عالم

الأرض والسماء ، ذلك حين برزت نيرة من أعطاف علي (ع) وحين تجلت في هذا الوجود من هيكل هذا الإمام الأعظم ·

ولتفخر العروبة بشاعرها النابغ الاستاذ بولس سلامة، وليفخر الاسلام والمسلمون وشيعة علي أمير المؤمنين بهذا الشاعر المبدع · · · إني وأبناء قومي نكبرك أيها الاستاذ، والامام علي (ع) يكبر جهادك هذا النبيل، والرسول الأعظم ﷺ يجل ماقمت به من هذا العمل الخطير، والله سبحانه يوافيك ثوابك الجزيل «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» وينظر اليك في هذه الدار بعينه التي لاتنام ·

وعش أيها الاستاذ سعيداً فعين علي (ع) تحفظك وترعاك ما دمت حيا ؛ فلا تقصر عن نصر علي وأبنائه الأطهار بمدائحك تلك الذهبية مااستطعت «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» · · · يكبرك أيها الاستاذ كل من حمل ضميراً طاهراً، وشعوراً كريماً · · · وتكبرك الفضيلة حين تهتف باسم إمامها من داخل مقصورتك قائلاً :

يا أمير البيان نهجك بحر ... تتلاقى الأرواح في أثنائه
متعةُ السمع والقلوب رَواء ... وزئيرُ الأقدار في أنوائه [1]
غضبة للتقى وللزهد دوّت [2] ... في سواد العراق في بطحائه
خلق الشمس حرّة لا تداري ... أو تواري مزوّراً في ريائه

---

(١) متعة السمع هو متعة السمع · وماء رواء بالفتح والمد أي عذب ، والرواء بالضم والمد حسن المنظر ، والرواء بالكسر والمد ككتاب حبل يشد به المتاع على البعير · ج أروية ؛ والمراد الاول · أنواء · ج نوء وهو عند الملاحين شدة هبوب الرياح واضطراب البحر (٢) الدوي الصوت وخص بعضهم به صوت الرعد ، من دوي الفحل بالتشديد سمع لهديره دوي

تُرسِل القول في العتاب شواظاً [١] من صميم البر كان عند التظائه [٣]
فاذا قلتَ في الخشوع فسحر يفضح الحلم في لطيف سنائه
ياأمير الزهاد صيتك أنقى من جبين العذر أقبل اصطلائه [٣]

وحياك الله تعالى ياقرة عيون الموالين ، ويابهجة نفوسهم النضرة ، حياك الله حين انبريت فأبرزت من ينبوع فكرك نصرة للامام علي (ع) هي في عالم الفضل والتقدير أجل وا كبر من كل غال ثمين ، هي تلك النصرة التي ما سبقك لمثلها شاعر ماهر ، ولاذو قلم فنان

ولقد أبدعتَ ياشاعر أهل البيت النبوي حين أتيتنا من بنات فكر العذارى ما به كنتَ جديراً لأن يُقام لك تمثال من نور على ربوع لبنان

فعلي (ع) يسمع صداك حين قلت

إنما الحق شيمة لعلي لحمة التوأمين دون انفصال
كلزوم البياض للثلج ، والإشعاع للشمس ، والسنا لِلآلي
أنت أجهدتَ ياعليُّ عصوراً بعدك استيقظت لجني الكمال

ويراك الامام أبو الحسن وأنت علي وسادة الألم ترسم من مولدات فكرك الحسان في فضله (ع) ما هو جدير لأن يُرسم بالنور على وجنات الحور ، ذلك حين تقول أيها الشاعر الفريد .

هاتِ ياشعر من عيونك واهتف باسمَ من أشبع السباسبَ ريّا
باسم زين العصور بعد نبي نوّر الشرق كوكباً هاشميا
باسم ليث الحجاز ، صقر البوادي خير من هز في الوغى سمهريا

---

(١) الشواظ بالضم والكسر لهب لادخان فيه أو دخان النار وحرها (٢) البركان جبل النار - ج براكين ، إيطالية معربة ، التظى وتلظى النار تلهبت (٣) اصطلى بالنار استدفأ بها

خير من جلل الميادين غاراً وانطوى زاهداً ، ومات أبيا
كان رب الكلام من بعد طه وأخاه وصهره ، والوصيا
بطل السيف ، والتقى ، والسجايا ما رأت مثله الرماح كميا
يا سماء اشهدي ويا أرض قري واخشعي إنني أردت عليا [1]

## * عظمة الامام علي (ع) في نفوس النابغين *

مازالت عظمة هذا الامام الأكبر ، ولن تزال ، تملأ الدنيا بلمعانها ؛ تملأ نفوس البشر بشعاعها المتلألئ ... إن شعاع هذه العظمة كهربائي بجاذبيته النورية ، فوق كل كهربائي نوري ... إن هذا الشعاع المتقد يخترق كل عرق نابض في المجتمع الانساني النابغ ، ويستهوي اليه أفكار النبلاء المشاهير من كتبة الفن المجيدين ، ومن شعراء التصوير المحلقين ... ويتقدم هذان القبيلان للمسابقة في تمثيل تلك العظمة بلاهوتيها المتصاعد ؛ وناسوتيها الجبار الحكيم ، في تمثيلها بأقصى ما هنالك من تصوير شعري أو نثري يصل اليه فكر النابغ البصير ... إن لتصوير عظمة الامام علي (ع) شعراً أو نثراً ، بهاء رائعاً ، ورواء مهيباً ... إن عظمة هذا الامام الأكبر هي شمس كل عظمة تطلع في هذا الوجود ، هي شمس كل عظمة يطلع بحلتها أعاظم الرجال الذين تظهر الفضيلة براقة في شمائلهم ... وما عظمة رجال الانسانية في جنب عظمة علي (ع) إلا كالوميض الضئيل بالقياس إلى نور الشمس المشرقة .

## * كلمة الاستاذ بولس سلامة في الامام علي (ع) *

إن الاستاذ شاعر العروبة بولس سلامة من أولئك النوابغ الذين تخلل في نفوسهم ذلك الشعاع الوهاج ، شعاع عظمة الامام علي (ع) وعلى وهج هذا الشعاع اندفع ، وأسلاك النبل والذكاء والعدالة تملي عليه درس فن التمثيل لهذه العظمة ، فصاغ كلمته

---

(١) هذا الشعر كله مثبت في كتاب « ملحمة الغدير »

النثرية القيمة فيما للإمام أمير المؤمنين (ع) من عظمة روحية عالمية ... قال : ورب قارىء [1] يحسبني متحاملا على بني أمية ، ويعلم الله اني لم أقل فيهم إلا ما أجمعت عليه السير النبوية ، ومؤرخو الاسلام كأبي الفداء ، والمسعودي، والطبري ، وابن الاثير ، وابن خلكان وماأقره الادباء المعاصرون، وقد أشرت إلى المراجع في الهوامش ليكون الكلام عن بينة ، ولا ريب أن الامويين شادوا في الشرق والغرب حضارة لها مكانتها الشامخة في عين من ينظر إلى الدنيا ولكنني قست بالمقاييس الروحية ، وان قصور العالم جميعاً لا تعادل في كفة الفضيلة جناح بعوضة . فإن سقراط الفيلسوف الحيّر الذي كان يمشي حافيا في أسواق أثينا لأجل قدراً في ميزان القيم الروحية من الاسكندر على عرشه ومن كسرى انوشروان في إيوانه ... ولرب معترض يقول: ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحمة إسلامية ؟ أجل إنني مسيحي ولكن التأريخ مشاع للعالمين . أجل إنني مسيحي ينظر من أفق رحب لا من كوة ضيقه فيرى في غاندي الوثني قديسا ، مسيحي يرى ( الخلق كلهم عيال الله) ويرى أن (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ) .

مسيحي ينحني أمام عظمة رجل يهتف باسمه مآت الملايين من الناس في مشارق الأرض ومغاربها خمس مرات كل يوم . رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأنا ، وأبعد أثراً ؛ وأخلد ذكراً . رجل أطل من غياهب الجاهلية فأطلت معه دنيا أظلها بلواء مجيد ؛ كتب عليه بأحرف من نور : لا إله إلا الله ، الله أكبر

قد يقول قائل : ولِمَ آثرت علياً دون سواه من أصحاب محمد ﷺ بهذه الملحمة ، ولا أجيب على هذا السؤال إلا بكلمات فالملحمة كلها جواب عليه ، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون : ( رضي الله عنه

---

(١) في كتابه « ملحمة الغدير» كما أن هذه الكلمة مثبتة في أوائل هذه الملحمة .

و كرم وجهه والسلام عليه ) ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه ، ويتمثل به الزهاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقنوتاً ، وينظر إليه المفكر فيستضيءُ بهذا القطب الوضاء ، ويتطلع اليه الكاتب الألمعي فيأتم ببيانه ، ويعتمده الفقيه المِدْره [1] فيسترشد بأحكامه

أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ، ويرفع الرأس الى هذا الطود الشامخ لتنهل عليه الآيات من عَلُ ، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسّخ قوعداه أبو الحسن إذ دفعها الى أبي الأسود الدؤلي فقال : أنحُ هذا النحو . وكان علم النحو ويقرأ الجبان سيرة علي فتهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة ، إذ لم تشهد الغبراء ولم تُظلّ السماء أشجع من ابن ابي طالب ؛ فعلى ذلك الساعد الأجدل اعتمد الاسلام يوم كان وليداً ؛ فعلي هو بطل : بدر ، وخيبر ، والخندق ، وحنين ، ووادي الرمل ، والطائف واليمن ... وهو المنتصر في صفين ، ويوم الجمل ، والنهروان ، والدافع عن الرسول بوم أحُد وقيدوم السرايا ولواء المغازي .

وأعجب من بطولته الجسدية بطولته النفسية ، فلم يُر أصبر منه على المكاره . إذ كانت حياته موصولة الآلام منذ فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضها على الحق في مسجد الكوفة ... وبعد فلم تجادلني في أبي الحسن ؟ أو لم تقم في خلال العصور فآت من الناس تؤلّه الرجل ؟ ولا ريب أنها الضلالة الكبرى ، ولكنها ضلالة تدلك على الحق إذ تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى . ولم يستطع خصوم الرجل أن يأخذوا عليه مأخذا فاتهموه بالتشدد في إحقاق الحق أي أنهم شكوا كثرة فضله فأرادوه دنيويا يماري ويداري ، وأراد نفسه روحانياً رفيعاً يستميت في سبيل العدل ؛ لا تأخذه في سبيل الله هوادة . وإنما الغضبة للحق ثورة

---

(١) المدره بكسر الميم وسكون الدال زعيم القوم . والمتكلم عنهم . ج مداره

النفوس القدسية التي يؤلمها أن ترى عوجاً . أولم يغضب السيد المسيح وهو الذروة في الوداعة والحلم يوم دخل الهيكل فوجد فيه باعة الحمام والصيارفة المرابين فأخذه بيده السوط وقلب موائدهم وطردهم قائلاً : بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص

بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعياً . فإذا كان التشيع تنقصاً لأشخاص ، أو بغضاً لفئات ، أو تهوراً في المزالق الخطرة فلست كذلك . أما إذا كان التشيع حباً لعلي وأهل البيت الطيبين الاكرمين ، وثورة على الظلم وتوجعاً لما حل بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوي التاريخ ، فإنني شيعي

فيا أبا الحسن ، ماذا أقول فيك وقد قال الكتاب في المتنبي : «انه مالئ الدنيا وشاغل الناس» وإن هو إلا شاعر له حفنة من الدر إزاء تلال من الحجارة . وما شخصيته حيال عظمتك إلا مدرة على النيل خجلى من عظمة الاهرام ، حقاً إن البيان لبسف وإن شعري لحصاة في ساحلك يا أمير الكلام ، ولكنها حصاة مخضوبة بدم الحسين الغالي

## ﴿ كلمة جبران في الامام علي (ع) ﴾

كذلك يتقدم النابغة جبران خليل جبران فينصب في وسط هذه الدنيا تمثالاً من نور لعظمة أمير المؤمنين (ع) بطراز رائع من نثره البليغ ، قال : في عقيدتي ان ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها ، وهو اول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل ، فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم . فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقا بالفطرة ، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية : مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته . مات والصلاة بين شفتيه . مات وفي قلبه الشوق الى ربه . ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس اناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى ... مات قبل ان يبلغ العالم رسالته كاملة وافية . غير اني اتمثله مبتسما قبل ان يغمض عينيه عن هذه الارض .. مات شانَ جميع الانبياء الباصرين الذين يأتون الى بلد ليس ببلدهم ، والى قوم ليس بقومهم في زمن ليس بزمنهم ولكن لربك شأنا في ذلك وهو اعلم .

الى هنا انتهى الكلام على الجزء الثاني من كتاب

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»

على يد مؤلفه اقل خدمة العلم الشريف بدر الدين الصائغ العاملي

ويليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى

# فهرست الجزء الثاني

## من كتاب «انا مدينة العلم وعليّ بابها»

صفحة


٤ فاتحة الجزء الثاني من هذا الكتاب
٥ علي (ع) مثال العلم والعمل
٩ علي (ع) من الصحابة وليس منهم
١٤ انما تقوم الفضيلة بالعلم والعمل
١٥ يجب في الخليفة أن يكون له الفتق المطلق بالعلم ، والمثال الأسمى بالعمل
١٧ العاطفة هي مظهر المروءة ، وعلى العاطفة تقوم المؤسسات الخيرية
١٨ الأحاديث النبوية في الحث على إعمال العاطفة
٢٤ كلام الامام أمير المؤمنين (ع) في الحث على اعمال العاطفة
٢٦ كلمات الأئمة الأطهار (ع) في الحث على إنعاش النفوس بثمرات العاطفة
٣٣ فذلكة وتحليل في كلام الامام علي ، و كلمات الأئمة الأطهار في المقام
٤٧ علي (ع) ينشر الحكم والامثال عن مشاهدة لروح الفضيلة
٤٩ عاطفة علي (ع) وعاطفة الرسول ﷺ من معدن واحد
٥١ علي (ع) يتجلى بعاطفته على جميع ماهنالك من خلق علوي وسفلي
٥٢ يتجلى علي (ع) بعاطفته حين يحمل للمرأة وأطفالها التمر والدقيق والشحم والأرز والخبز
٥٥ كذلك علي (ع) يتجلى بعاطفته حين يحمل القربة عن المرأة وحين يلقم صبيانها بيده ويسجر لها التنور
٥٨ علي (ع) مثال الإصلاح والتواضع
٦١ علي (ع) مثال العدل والتواضع
٦٩ يشبه ذلك الحديث حديث آخر له (ع) مع بعض اليهود إيضا
٧٢ المرأة الكنانية تحدث معاوية بما كان فيه علي (ع) من العدل في الرعية ، والقسم بالتسوية والمحافظة على أموال المسلمين
٨١ سودة ابنة الأشتر الهمدانية تحدث معاوية بما كان فيه علي (ع) من القيام بالعدل
٩١ ختام الكلام على حديث سودة ، يحدثني جمجمتي كسرى وبرويز مع الامام أمير المؤمنين (ع)

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٨٢٣
التاريخ ١١/



٩٦ غاية المدح في علاك ابتداء
١٠١ مافرّق الله شيئا في خليقته من الفضائل الا عندك اجتمعا
١٠٥ يتجلى علي (ع) بمثالية العاطفة يوم صفين حين اباح الماء لمعاوية واصحابه
١٢٥ علي (ع) يشرف على الوجود بمحياه الأزهر من كتاب «ملحمة الغدير»
١٣٩ عظمة الإمام علي (ع) في نفوس النابغين
١٣٩ كلمة الاستاذ بولس سلامة في الامام علي (ع)
١٤٢ كلمة جبران في الامام علي (ع)

## جدول الخطأ والصواب

| ص | خطأ | صواب | ص | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|---|---|
| ٥ | عما لاشك فيه | عما لايشك فيه | ٤٠ | هي سيرة | هي السيرة |
| ٥ | من أصحابه | من الصحابة | ٤٣ | وارنواء | وارتواء |
| ٧ | بين أيدنا | بين أيدينا | ٤٤ | سبطه الرسول | سبط الرسول |
| ١٠ | وتزهو بها | تزهو بها | ٤٦ | المرجع | والمرجع العام |
| ١٢ | الاعظم انسان | لأعظم انسان | ٤٨ | بهم الكفاية | بها الكفاية |
| ١٣ | حين علمتنا | حين أعلمتنا | ٥٠ | من اصطفاهما | مذ اصطفاهما |
| ١٤ | على ذمامها | على زمامها | ٥١ | من ثمر ذكي | من ثمر زكي |
| ١٩ | من ناحية أخرى | ومن ناحية أخرى | ٧٠ | وفي المذهب | في المذاهب |
| ١٩ | بالقول | بالقبول | ٨٧ | وكذا | وكذ |
| ١٩ | يخضع لقداسته | ويخضع لقداسته | ٩١ | دي عقل | ذي عقل |
| ٢١ | ومزيد الإتقان | ومزيد الايقان | ٩٣ | ولمع وبرق | ولمع برق |
| ٢٢ | واللحاظة | واللحاظ | ٩٣ | من أثر سالم | من أثر سام |
| ٢٤ | ومن سيوله | ومن سيولد | ٩٤ | من قوه | من قوة |
| ٢٦ | الأبرار | الأبدان | ٩٤ | الوضيمة | الوضعية |
| ٢٧ | جعلت فداك | وقلت له جعلت فداك | ٩٥ | كل في وقته | كل واحد منها |
| ٣٠ | وقال زريح | وقال ذريح | ١٠٠ | من أسماء الأسماء | من اسماء الأسد |
| ٣٢ | واجسلني | واجلسني | ١٠٤ | الخاص | الخالص |
| ٣٣ | من التسجيع | من التشجيع | ١٠٤ | لا ينفمك | لا ينفك |
| ٣٦ | الازدياء | الازدياد | | | |

قريباً سيصدر الجزء الثالث بذات الحجم ان شاء الله تعالى فانتظروه

كان طبع الجزء الاول سنة ١٣٦٨هـ موافق ١٩٤٩م